مصباح الهداية
إلى الخلافة والولاية

سماحة آية الله العظمى
الإمام الخميني
(قدس سره)



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

مصباح الهداية

إلى الخلافة والولاية



مصباح الهداية

إلى الخلافة والولاية

تأليف

سماحة آية الله العظمى

الإمام الخميني (قدس)

منشورات

مؤسسة الأعلى للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

صندوق بريد:٧١٢٠

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com

http://www.alaalami.com

المقدمة

انفلق فجر المشيَّة الإلهية وأشرقت شمس الخليقة الربانية ومبدع الوجود وبارئه يكوِّن صنيعة عجيبة و. . . يقدم الإنسان من رحم الغيب ويستقر في حجر الشهود.

وفي عيد ميلاد هذا المولود المبارك ترى الله سبحانه هو المضيف بنفسه يدعو الكروبيين في الملأ الأعلى والقاطنين في حرم سره وعفاف ملكوته إلى الصلاة في مصلى القدس: (قدس الإنسان الطاهر) ويأمرهم أن يخروا سجداً له خاضعين وإليك نص النداء:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾

ولقد ارتعشت النفوس اللطيفة في شرح هذا الحديث البديع الذي يستطيع أن يتجلى في دور أجمل حادثة في نشأة الخلق وأعظم تجلي الإرادة الأزلية ارتعاشاً أودع في صدر التاريخ وذكراه معان عميقة قد عبرت عنها في أطر الألفاظ وقوالبها بعبارات شتى.

فهذا علي عليه السلام ذلك الضمير الملتهب والوجدان المتحسس في الحكمة الإلهية تراه يترنَّم قائلاً:

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

وهذا العارف الرومي ذلك الفارس الأوحدي في ساحة العرفان الفلسفي نراه يأخذ روحاً من كلام علي وينفخ فيه هيئة ألفاظ شعره في اللغة الفارسية ويقول ما مضمونه:

إن كانت الأملاك لا تراهم فباطن الإنسان أخفى منهم

والآخرون كل على حسب عقله وشعوره دون أن يصلوا إلى حقيقة هذا الموجود ومغزاه.

والحق أن ابن آدم فطرة طريفة وهذا السر المتكوِّن في عالم الوجود والجمال المستتر عن العيان والشهود والورقاء المحجوبة عن مقلة كل عارف لو أراد أن يكشف النقاب عن جماله البديع فلا بد له أن ينشئ لنفسه أجنحة كالعنقاء ليستطيع أن ينقلع من محيط جاذبة الملك والطبيعة ويرقى إلى قمَّة العلوِّ من جبل قاف: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ فينجذب في هالة مغناطيس القرب إلى حد ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ وينال مفخرة: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني».

ولكن حيث إن السير في هذا الطريق الصعب من دون أن يرافقه خضر كدليل، واقتحام هذه العقبة الكؤودة بلا مرشد مستحيل، نرى الرسول الأعظمﷺ منقذ البشرية ومنجيها والموضع عنها أصرها والأغلال التي كانت عليها، قد أكَّد على هذه النقطة بكل صراحة عندما ينبئ عن التباس الفتن كقطع الليل المظلم وتهاجم أمواج الضلالة، ويوصي عندئذ بالقرآن والتمسك به يعَّرفنا أيضاً معالم الطريق وأعلام الهدى وساسة العباد ويذكر

على جانب النظام الأتمّ والدستور الحيوي يعني القرآن العظيم، العترة الطاهرة ويقول: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلوا».

وعلى هذا الأساس يظهر في سماء الإمامة والخلافة اثنا عشر كوكباً منيراً يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر ويكمل بهم الدين وتتم نعمة الهداية والإرشاد.

وحيث اقتضت الحكمة الإلهية وفيها مصالح جمَّة للعباد بأن يغرب قمراً من أقمار هذه المنظومة في محاق الغيبة برهة من الزمان وقدّره الله منازل حتى عاد كالعرجون القديم يضيء رغم هالة غيبته وينير درب ركب الحاج لكعبة الفلاح ومسافري طريق النجاح حتى يطلع بإذن الله بعد ليالي القرون المظلمة في ليلة الأبدار بتمامه وكماله وانتظار ذلك اليوم إن شاء الله.

وفي هذه الأزمنة وبعد القرون من الخلأ والفراغ فإن الرحمة الكاملة الإلهية لم ترض بتعطيل الخلائق عن هدايته وولايته ولم يكلهم على يد الصدفة العمياء بل سلّم أزمة هذا الركب إلى قادة من قبيلة القبلة العارفين للمسار وجعلهم المسؤولين عن إرشاد الناس ومأمورين بإشاعة الحق وإقامة القسط والعدل وتستطيع أن ترسم سيماء هؤلاء وتتعرف عليهم من خلال هذا الحديث:

وأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلِّدوه.

هذا وبعد أن عاشت الأمة الإسلامية المظلومة في قهر الزمان المفجعة سنين متطاولة وذاب كل وجودها كالشمعة في لهيب الانتظار وليس لها نور

يسعى بين يديها اللهم إلا نجمة في بعض الفترات ولكنها سرعان ما هوت إلى أفق الأفول حيث إن الظلمة كانت قاسية متراكمة والنجمة أضعف من أن تخرق تلك الظلمة.

ففي هذه الأزمنة والفترة ظهر لنا تفسير جديد وتبلور مشرق من ذلك الحديث على مرآة عصرنا الحاضر.

الإمام الخميني الثائر العظيم المخترق لظلمات القرن الرهبان الأوَّاه المتأنن في الليل والأسد المغرد في النهار السيف المسلول على عفريت الاستكبار العالمي الذي يهمس بشفتيه آية النجاة ويحمل بيده لواء التحرر «تحرر الإنسانية» من كل العبوديات والرقيَّات، الرجل المتعالي من سلالة الطاهرين والطيبين من آل طه ويس قام على مأذنة الوحدة والإيمان ويسمع نداءه وأذانه الأمة الإسلامية وجميع الشعوب المستضعفة إذ ينادي حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح ويدعو الإنسان إلى مصلى القيام والعصيان على كل الطواغيت الظاهرة والخفية وتحطيم كل أصنام السر والعلانية ونرى الآن أن الإنسان المستضعف قد ورد إلى مناهل شريعة الإسلام كي يتوضأ كالحلاَّج وضوءاً أحمر ويقوم على قدميه في ابتهال أخضر ويبني عالماً جديداً ويصنع إنساناً طرياً يقتدي بأسوة حسنة مثلَّتها الأمة الإسلامية في إيران وتجلَّى بها في مسرح الثورة الإسلامية.

وهذا هو الإمام الخميني أمثولة علي عليه السلام في الأرض بخصائص من الإمام الغائب ومعالم من سيمائه المشرق تراه مقداماً وممهِّداً لحكومة المهدي أرواحنا فداه قام قائداً من قلب الأمة متجلياً بخصائص الإنسان

النموذجي يحمل آلام الأمة في القلب وآمالهم في الفكر تراه يؤم الخلائق بعزم جازم وإرادة صلبة يصلي صلاة الجهاد والعصيان على الطاغوت، وأفواج المستضعفين خلفه صفاً كأنهم بنيان مرصوص فواعجباً من قيام فكأنه قيامة قد قامت.

فيا سبحان الله هل الآن هو قرن العشرين وهذا الوطن الإسلامي إيران وذلك الشيخ الكهل في ٨٤ من سنين عمره أمين رسول الله الخميني روح الله؟ أو أن الوقت أو أن فتح مكة ونصر الله والانتصار الكبرى للمسلمين في صدر الإسلام.

فها نحن نسمع الوحي المقدس الذي ما زال يهب نسيمه منذ أربعة عشر قرناً يجدد لنا الحياة ويدق مسامعنا إذ يقول لنا ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

والآن لقد حان أن نرى نحن المأمومون بهذا الإمام روحه المتلاطم من العرفان وفكره النقاد الفلسفي في مرآة أفكاره وشخصيته الملكوتية المنعكسة في تأليفاته المتعددة علنا نأتي بقبس منها أو نجد إلى نار عشق الحق هدى.

وقبل أن نتطاير بأرواحنا في فضاء معارفه الواسعة لا بد من أن نشير إلى ملاحظات نستعد بها ونتأهب للعروج.

١ـ إن كل سلسلة من العلوم والمعاني لها لسان خاص ومنطق لا ينطبق تماماً مع المنطق المصطلح والمتعامل ومنطق العرفان ليس مستثنى من هذه القاعدة فإنه يتكلم بلسانه الخاص وتتضاعف تلك الخصوصيات بالأخص

في كلمات الإمام «أستاذ العصر في العرفان» فعلى القارئ الجليل أن ينتبه إلى هذه النقطة أنه لو أحسَّ بالإشكال في فهم المطالب وإدراكها فعليه أن يسيء الظن بقدرة فكره لا أن يبادر باتهام البيان بالضعف فإن المعاني المتعالية يجب أن يستعان في فهمها من أصحاب النظر أو يتوصل إلى عمق المطالب بالتكرار والتمارين.

٢ـ أوصى من يريد التوصل إلى هذا الفكر العميق أن يسير قبل ذلك في روضات أفكار هذا المتفكر العظيم ومنها آداب الصلاة أو (پروازدر ملكوت) وشرح دعاء السحر وسر الصلاة كي يفرح شامته بعطور معانيها ويخطو بخطوات أقوم في مسار الفكر العرفاني للإمام في هذا الكتاب ويحظى بالتمتع منه.

٣ـ إن الأصدقاء الأعزاء الواصلين بزاد الهمة إلى شاطئ بحر أفكار الإمام يجب أن لا يكون عندهم رجاء أن يكون كلام الإمام هنا أيضاً بنفس السلاسة والبساطة التي يرونها في بياناته وخطاباته اليومية حيث «إن الله تعالى يلقِّن الحكمة على لسان الواعظين بقدرهم» فالخطابات التي يخاطب بها الإمام عامة الأمة على مستوى أفهامهم وعقولهم لا محالة فهي لمحة من لمحاته الجميلة وأما في هذا الكتاب فقد تجلى جماله العرفاني بكل بهائه وسنائه فليس لكل أحد أن ينال إلى مغزى معارفه كما أنه دام ظله مع ما له من التواضع الكامل الذي يختص به الأولياء الكاملون وهو منهم بلا شك يصرح في هذا الكتاب بـ «أن ما في هذه الرسالة لا أظن أن سمعت به في غير تلك المقالة» كما أنه يوصي الأصدقاء الروحانيين أن لا يكشفوا هذه الأسرار لغير أهلها ويحذِّرهم من أن لا يضنون على غير محلها فإن علم

باطن الشريعة من النواميس الإلهية والأسرار الربوبية مطلوب سره عن أيدي الأجانب وأنظارهم لكونه بعيد الغور عن جلي أفكارهم ودقيقها وأفاد في آخر وصيته: إياك وأن تنظر نظر الفهم في هذه الأوراق إلا بعد الفحص الكامل عن كلمات المتألهين من أهل الذوق وتعلم المعارف عند أهلها من المشايخ العظام والعرفاء الكرام وإلا فمجرد الرجوع إلى مثل هذه المعارف لا يزيد إلا خسراناً ولا ينتج إلا حرماناً انتهى. وفقنا الله تعالى لفهم الكلام ونيل المرام فإنه الموفق وبه الاعتصام وصلى الله على محمد وآله الكرام وأنا العبد المشتاق إلى رحمة ربه الملك العلاَّم.

السيد أحمد الفهري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المستكن في حجاب العماء، والمستتر في غيب الصفات والأسماء، المختفي بعز جلاله والظاهر الغرّ المحتجب بنور جماله الذي بقهر كبريائه، محجوب عن قلوب الأولياء وبظهور سنائه يظهر في مرائي الخلفاء والصلاة والسلام على أصل الأنوار ومحرم سر الأسرار، المستغرق في غيب الهوية والمنمحى عنه التعيّنات السوائية، أصل أصول حقيقة الخلافة، وروح أرواح منصب الولاية، المستتر في حجاب عزّ الجلال والمخمّر بيدي الجلال والجمال، كاشف رموز الأحدية بجملتها، ومظهر حقائق الإلهية برُمّتها، المرآة الأتم الأمجد سيدنا أبو القاسم محمّد صلّى الله عليه وعلى آله الشموس الطالعة من فلك الخلافة الأحمدية والبدور المنيرة من أفق الولاية العلوية سيّما خليفته القائم مقامه في الملك والملكوت المتحد بحقيقته في حضرة الجبروت واللاهوت، أصل شجرة طوبى وحقيقة سدرة المنتهى، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى، معلّم الروحانيين ومؤيّد الأنبياء والمرسلين، علي أمير المؤمنين عليه صلوات الله وملائكته ورسله أجمعين:

وبعد: يقول المفتخر بالانتساب إلى المبعوث إلى الثقلين والمتمسك بالعروة الوثقى السيّد روح الله ابن العالم المقتول السيّد مصطفى الموسوي الخميني القاطن بقم الشريف أحسن الله حالهما وأصلح مآلهما.

إني أحببت أن أكشف لك في هذه الرسالة بعون الله ولي الهداية في البداية والنهاية طليعة من حقيقة الخلافة المحمدية ورشحة من حقيقة الولاية العلوية عليهما التحيات الأزلية الأبدية، وكيفية سريانهما في عوالم الغيب والشهود ونفوذهما في مراتب النزول والصعود ونشير إلى لمحة من مقام النبوة بطريق الإجمال بل الرمز والإرشاد في المقال وإنّها أيضاً سارية في العوالم دائمة باقية أزلية أبدية في مشكاتين فيهما مصابيح نورية وأنوار مضيئة ثم نلقي إليك حقيقة الشجرة المنهيّ عنها أبونا آدم عليه السلام ومظاهرها بطريق الرمز في الكلام حسب ما نستفيد من معادن الوحي والتنزيل ومحالّ معرفة الرب الجليل وكيفية التوفيق بين الأخبار الواردة على اختلافها بحسب الظاهر لتوافقها عند أولي البصائر وأصحاب القلوب والخواطر في شجرة نورية ينبعث عنها فروع إيمانية ثم نهدي إليك هدية عرفانية هي كشف الله عن قوسي الوجود في سلسلتي النزول والصعود في دائرة ملكوتية يستفاد منها قوسان وجوديان[1].

وبالحري أن نسميه مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية وأرجو من الله التوفيق فإنه خير معين ورفيق وأستمد من أوليائه الطاهرين في الدنيا والآخرة.

---

(١) وفي النسخة ثلاث كلمات غير مقروّات.

المشكاة الأولى: فيما يُستكشف من بعض أسرار الخلافة المحمدية والولاية العلوية في الحضرة العلمية ونبذة يسيرة من مقام النبوة بطريق الرمز والإشارة بلسان أولياء المعرفة من خلّص شيعة أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وفيها مصابيح نورية تشير إلى حقائق يقينية يستفاد منها معارف إيمانية.

مصباح: اعلم أيّها المهاجر إلى الله بقدم المعرفة واليقين رزقك الله وإيّانا الموت في هذا الطريق المستبين وجعلنا وإياك من السالكين الراشدين: إن الهويّة الغيبية الأحدية والعنقاء[١] والمغرب المستكن في غيب الهويّة والحقيقة الكائنة تحت سرادقات النورية والحجب الظلمانية في عماء وبطون وغيب وكمون لا اسم لها في عوالم الذكر الحكيم ولا رسم ولا أثر لحقيقتها المقدسة في الملك والملكوت ولا رسم، منقطع عنها آمال العارفين وتزلّ في سرادقات جلالها أقدام السالكين محجوب عن ساحة قدسها قلوب الأولياء والكاملين غير معروفة لأحد من الأنبياء والمرسلين ولا معبودة لأحد من العابدين والسالكين الراشدين ولا مقصودة لأصحاب المعرفة من المكاشفين حتى قال أشرف الخليقة أجمعين: ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك وقيل بالفارسية:

عنقا شكار كس نشود دام بازp گير

كانجا هميشه بادبدست است دام را

وقد ثبت ذلك في مدارك أصحاب القلوب حتى قالوا إنّ العجز عن المعرفة غاية معرفة أهل المكاشفة:

---

(١) ليست العنقاء تصطاد فخذ فخك واذهب   إنه ليس له حظ سوى هبّ الرياح

مصباح: هذه الحقيقة الغيبية لا تنظر نظر لطف أو قهر ولا تتوجه توجّه رحمة أو غضب إلى العوالم الغيبية والشهادتية من الروحانيين القاطنين في حضرة الملكوت والملائكة المقرّبين الساكنين في عالم الجبروت بل هي بذاتها بلا توسّط شيء لا تنظر إلى الأسماء والصفات ولا تتجلّى في صورة أو مرآة، غيب مصون من الظهور، مستور غير مكشوف عن وجهه حجاب النور، فهو الباطن المطلق والغيب الغير المبدئ للمشتق.

مصباح: البطون والغيب اللذان نسبناهما إلى هذه الحقيقة الغيبية ليسا متقابلين للظهور الذي من الصفات في مقام الواحدية والحضرة الجمعية ولا الباطن الذي كان من الأسماء الإلهية والذي هو من أمهّات الأسماء الحقيقية فإن البطون الذي من الأوصاف القدسية والباطن الذي من الأسماء الربوبية كل واحد منها التجلي بذلك المقام وهما متأخّران عن تلك الحضرة، بل التعبير بمثل هذه الأوصاف والأسماء لضيق المجال في المقال فالحقيقة التي قلب الأولياء عن التوجّه إليها محروم، كيف يمكن أن يعتبر عنها بما كان من مقولة المفهوم نعم ما قيل:

ألا إنّ ثوباً خيط من نسج تسعة

وعشرين حرفاً من معاليه قاصر

فاللفظ قاصر والمتكلم أبكم والسامع أصمّ كما قيل بالفارسية:

من كنك خواب ديده وعالم تمام كر

من عاجزم زكفتن وخلق از شنيدنش

مصباح: وهذه الحقيقة الغيبية غير مربوطة بالخلق متباين الحقيقة عنهم ولا سنخيّة بينها وبينهم أصلاً ولا اشتراك أبداً قرع سمعك في مطاوي كلمات الأولياء الكاملين نفي الارتباط وعدم الاشتراك، والتباين بالذات فكلامهم محمول على ذلك وإذا سمعت الحكم بالاشتراك والارتباط بل رفع التغاير والغيرية من العرفاء المكاشفين فمحمول على غير تلك المرتبة الأحدية الغيبية وسيأتيك إن شاء الله زيادة تحقيق في مصباحه.

مصباح: إياك وأن تزلّ قدمك من شبهات أصحاب التكلم وأغاليطهم الفاسدة ووهميّات أرباب الفلسفة الرسمية من المتفلسفين وأكاذيبهم الكاسدة فإن تجارتهم غير رابحة في سوق اليقين وبضاعتهم مزجاة في ميدان السابقين، ذرهم في خوضهم يلعبون وبآيات الله وأسمائه يجحدون ولهم عذاب البعد عن حق اليقين ونار الحرمان عن جوار المقربين.

ولهذا تراهم قد ينفون الارتباط ويحكمون بالاختلاف بين الحقائق الوجودية ويعزلون الحق عن الخلق وما عرفوا أنّ ذلك يؤدّي إلى التعطيل ومعلولية يد الجليل غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا وقد يذهبون إلى الاختلاط المؤدّي إلى التشبيه غافلون عن حقيقة التنزيه والعارف الكاشف والمتألّه السالك لسبيل المعارف يكون ذا العينين بيمنتهما ينظر إلى الارتباط والاستهلاك بل نفي الغيرية والكثرة وبالأُخرى إلى نفيه وحصول أحكام الكثرة وإعطاء حق كل ذي حقّ حقّه حتى لا تزلّ قدمه في التوحيد ويدخل في زمرة أهل التجريد.

مصباح: قد ورد أخبار كثيرة من طرق أهل بيت العصمة تشير إلى ما ذكرنا، منها:

ما في الكافي الشريف في كتابه عن عبد الرحيم بن عتيك القصير على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام وفيما أجاب: فاعلم رحمك الله أنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله تعالى فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه هو الله الثابت الموجود إلى آخره.

وفيه أيضاً عن الحسن بن سعيد قال: سُئل أبو جعفر الثاني عليه السلام: يجوز أن يقال لله أنّه شيء؟ قال: نعم يخرجه عن الحدّين حدّ التعطيل وحدّ التشبيه.

مصباح: إنّ الأسماء والصفات الإلهية أيضاً غير مرتبطة بهذا المقام الغيبي بحسب كثراتها العلمية غير قادرة على أخذ الفيض من حضرته بلا توسط شيء حتى اسم الله الأعظم بحسب أحد المقامين الذي كان استجماعه للأسماء استجماع الكل للأجزاء وبالأخص مقام ظهوره في مرائي الصفات والأسماء فإنّ بينها وبينه حجاب نوري مقهور الذات، مندكّة الإنية في الهويّة الغيبيّة، معدوم التعين، غير موصوف بصفة، وهذا مقام آخر للاسم الأعظم والحجاب الأكبر وهذا هو الفيض الأقدس من شوائب الكثرة والظهور وإن كان ظاهراً بحسب مقامه الأول كما يأتي بيانه إن شاء الله.

مصباح : وإذا انكشف على سرّك أنّ هذه الحقيقة الغيبيّة أجلّ من أن ينال بحضرتها أيدي الخائضين ويستفيض من جنات قدسها أحد من المستفيضين ولم يكن واحد من الأسماء والصفات بما لهما من التعينات محرم سرّها ولم يُؤذن لأحد من المذكورات دخول خدرها فلا بد لظهور الأسماء وبروزها وكشف أسرار كنوزها من خليفة إلهيّة غيبية يستخلف عنها في الظهور في الأسماء وينعكس نورها في تلك المرايا حتى تنفتح أبواب البركات وتنشق عيون الخيرات وينفلق الصبح الأزل ويتصل الآخر بالأوّل فصدر الأمر باللسان الغيبي من مصدر الغيب على الحجاب الأكبر والفيض الأقدس الأنور بالظهور في ملابس الأسماء والصفات ولبس كسوة التعينات فأطاع أمره وأنفذ رأيه.

مصباح: هذه الخليفة الإلهيّة والحقيقة القدسيّة التي هي أصل الظهور لا بدّ وأن يكون لها وجه غيبي إلى الهويّة الغيبية ولا تظهر بذلك الوجه أبداً، ووجه إلى عالم الأسماء والصفات بهذا الوجه يتجلّى فيها ويظهر في مراياها في الحضرة الواحدية الجمعيّة.

مصباح: أوّل ما يستفيض من حضرة الفيض والخليفة الكبرى حضرة الاسم الأعظم أي الاسم الله بحسب مقام تعيّنه باستجماع جميع الأسماء والصفات وظهوره في جميع المظاهر والآيات فإن التعين الأوّل للحقيقة اللامتعيّنة هو كلّ التعينات والظهورات ولا يرتبط واحد من الأسماء والصفات بهذا الفيض الأقدس إلاّ بتوسط الاسم الأعظم على الترتيب المنسق كلٌّ حسب مقامه الخاصّ به.

مصباح: أول ما ظهر من مظاهر الاسم الأعظم مقام الرحمانيّة والرحيميّة الذاتيتين وهما من الأسماء الجمالية الشاملة على كلّ الأسماء ولهذا سبقت رحمته غضبه وبعدهما الأسماء الأُخر من الأسماء الجلالية على حسب مقاماتها.

مصباح: هذه الخلافة هي الخلافة في الظهور والإفاضة والتعيّن بالأسماء والاتصاف بالصفات من الجمال والجلال لاستهلاك التعينات الصفاتية والأسمائية في الحضرة المستخلف عنه واندكاك كل الإنيّات في مقام عينه وعدم الحكم لواحد منها وعدم الظهور لها.

مصباح: فهذه الخليفة الإلهية ظاهرة في جميع المرائي الأسمائية منعكسة نورها فيها حسب قبول المرآة واستعدادها سارية فيها سريان النفس في قواها متعيّنة بتعيّناتها تعيّ الحقيقة اللاّ بشرطية مع المخلوطة ولا يعلم كيفية هذا السريان والنفوذ ولا حقيقة هذا التحقق والنزول إلا الخُلّص من الأولياء الكاملين والعرفاء الشامخين الذين يشهدون نفوذ الفيض المقدس الإطلاقي وانبساطه على هياكل الماهيّات بالشهود الإيماني والذوق العرفاني والمرقاة لأمثال هذه المعارف بل كل الحقائق للسالك العارف، معرفة النفس فعليك بتحصيل هذه المعرفة فإنّها مفتاح المفاتيح ومصباح المصابيح من عرفها فقد عرف ربّه.

مصباح: أوّل تكثر وقع في دار الوجود هي هذه الكثرة الأسمائية والصفاتية في الحضرة العلميّة ومقام الواحديّة بظهور الخليفة الإلّهية في صُور التعيّنات الأسمائية وتلبسه بلباس الكثرات واكتسائه بكسوة الصفات وهذه الكثرة هي مبدأ مبادئ كلّ كثرة وقعت في العين وأصل أصول الاختلاف لمراتب الوجود في الدارين.

مصباح: كل اسم كان أُفُقه أقرب من أُفُق الفيض الأقدس كانت وحدته أتمّ وجهة غيبه أشدّ وأقوم وجهات الكثرة والظهور فيه أنقص وعن أُفُقِها أبعد وعلى سبيل التعاكس كلّما بَعُدَ عن حضرته ورفض عن مقام قربه كانت الكثرة فيه أظهر وجهات الظهور أكثر ومن ذلك يستكشف على قلب كلّ عارف مكاشف ويعرف كلّ سالك عارف أنّ الاسم الأعظم المستجمع لجميع الأسماء والصفات مع اشتماله للكثرات واستجماعه للرسوم والتعيّنات كان من أُفقِ الوحدة أقرب وكان ذلك الاشتمال بوجه منّزه عن الكثرة الحقيقة بل حقيقته متحدة مع الفيض الأقدس ومقام الغيب المشوب واختلافهما بمحض الاعتبار كاختلاف المشيئة والفيض المقدّس مع التعين الأول المعبّر عنه في لسان الحكماء بالعقل الأول.

مصباح: إيّاك وأن تظنّ من قولنا أنّ مرتبة الاسم الله الأعظم أقرب الأسماء إلى عالم القدس وأوّل مظاهر الفيض الأقدس باعتبار اشتماله كل الأسماء والصفات أن سائر الأسماء الإلهية غير جامعة لحقائق الأسماء ناقصة في تجوهر ذاتها فإن هذا ظنّ الذين كفروا بأسماء الله ويلحدون فيها فحجبوا عن أنوار وجهه الكريم.

بل الإيمان بها أن تعتقد أن كل اسم من الأسماء الإلهية جامع لجميع الأسماء مشتمل على كل الحقائق، كيف وهي متّحدة الذات مع الذات المقدسّة والكل متّحد مع الكل ولازم عينيّة الذات مع الصفات والصفات بعضها مع بعض ذلك.

وأمّا قولنا أنّ الاسم الكذابي من أسماء الجلال وذاك من أسماء الجمال وهذا الرحيم وذلك القهّار الجبّار باعتبار ظهور كلّ فيما اختصّ به وأن ما يقابله باطن فيه فالرحيم تكون الرحمة فيه ظاهرة، والسخط باطناً فيه والجمال ظهور الجمال وبطون الجلال، والجلال بالعكس والظاهر مختف في الباطن والباطن مستكن في الظاهر وكذا الأول في الآخر والآخر في الأول.

وأمّا اسم الله الأعظم ربّ الأسماء والأرباب فهو في حدّ الاعتدال والاستقامة وله البرزخية الكبرى، لا الجمال يغلب جلاله ولا الجلال

جماله، لا الظاهر حاكم على باطنه ولا الباطن على ظاهره فهو الظاهر في عين البطون، والباطن في عين الظهور والأول بعين الآخرية، والآخر بعين الأوّليّة فاعرف ذلك فإنه باب واسع للمعرفة.

مصباح: فالآن قد طلعت شمس الحق من مَشرقها وعين الحقيقة من أُفقها من أنّ التعبير بالتعين والمشمولية والمحيطية والمحاطية لضيق العبارة وقصور الإشارة وإياك أيّها الأخ الروحاني وأن تفهم من تلك العبارات وهذه التعبيرات معانيها العرفية ومصطلحاتها الرسمية فتقع في الكفر بأسماء الله والبعد عن ساحة قدسه ومقام أُنسه فإن الألفاظ والعبارات حُجُبُ الحقائق والمعاني، والعارف الرباني لا بدّ وأن يخرقها ويلقيها وينظر بنور القلب إلى الحقائق الغيبية وإن كانت في بدو الأمر للجمهور محتاجاً إليها كما أنّ الحواس الظاهرة مرقاة للمعاني العقلية والحقائق الكلية النورية حتّى صحّ من أصحاب الحكمة: أنّ من فقد حساً فَقَد فَقَدَ عِلماً.

مصباح: فانظر أيّها السالك سبيل الحق إلى الآيات الشريفة في أواخر الحشر وتدبّر فيها بعين البصيرة وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ فانظر كيف حكم تعالى شأنه في الآيات الثلاث الشريفة باتّحاد حضرة الإلهية مع غيب الهوية باعتبار اندكاكها في ذاته واستهلاكها في إنيته ثم حكم تعالى شأنه باتحاد الصفات الجمالية والجلالية والأسماء الذاتية والصفاتية والافعالية على الترتيب المنظّم مع الذات الأحدية ففيها إشارة لطيفة إلى ما قدّمنا لمن ألقى السمع وهو شهيد.

مصباح: قال الشيخ العارف الكامل القاضي السعيد الشريف القمي﵀ في البوارق الملكوتية: من المُتّضح عند أهل الذوق الأكمل والمشرب الأسهل أنّ الله اسم جامع لحقائق جميع الأسماء الإلهية لستُ أعني أنّ غيره لا يتضمّن سائر الأسماء إذ لا ريب عن أهل الذوق أنّ كلّ اسم إلهي يتضمن جميع الأسماء الإلهية فإن كلّ اسم ينعت بجميع النعوت إلاّ أنّ ها هنا مراتب أحدها مرتبة السدنة والرعايا والثانية الأرباب والرؤساء والثالثة الملك والسلطان فللاسم الله هذه المرتبة الأخيرة فلهذا اختصّ بالجامعية. انتهى كلامه.

مصباح: لا تتوهمّنّ التهافُتَ بين ما ذكره ذلك العارف الجليل والذي سبق منّا في بعض المصابيح السالفة فإنا قدّمنا بأنّ بعض الأسماء حاكم على بعض بتوسّط أو بلا وسط كما مرّت الإشارة إليها كما أنّ بعض الأسماء ربّ الحقائق الروحانية وبعضها ربّ الحقائق الملكوتية وبعضها ربّ الصور الملكية الكائنة وهو (قدّس سرّه) أيضاً مؤمن بما أوضحنا سبيله من أنّ أسماء الجمال مستتر فيها الجلال وأسماء الجلال مستكنّ فيها الجمال والاختصاص بالاسم باعتبار الظهور كما صنع الشيخ محيي الدين في الأسماء الذاتية والصفاتية والافعالية وأشير إليه في الحديث النبوي «إن الجنة حُفّت بالمكاره والنار حُفّت بالشهوات» وقد أشار مولانا ومولى الكونين أمير المؤمنين عليه السلام عليه إشارة لطيفة خفية إلى ذلك بقوله ما رأيت شيئاً إلا ورأيتُ الله قبله وبعده ومعه أو فيه **فإن مظهرية كل شيء اسم الله الأعظم مع اختصاص كل مربوب باسم ليس إلا من جهة أنّ كل اسم يستكنّ فيه كلّ الأسماء والحقائق.**

مصباح: إذا علمت بالعلم اليقين الخالي عن الشبهات والمعرفة الكاملة المقدسة عن الجهالات أنّ التكثرّ الواقع في الحضرة الواحدية ومرتبة الألوهية هو من تجلي الفيض الأقدس في صور الأسماء والصفات وانعكاس نوره في مرائيها فاعلم أنّ لهذه الأسماء الإلهية وجهين وجهاً إلى أنفسها وتعيناتها وبه يظهر أحكام الكثرة والغيرية ولها لوازم في الحضرة العلمية وتأثير في الأمر والخلق كما سيأتي تفصيله إن شاء الله ووجهاً إلى حضرة الغيب المشوب ومقام الفيض الأقدس الفاني في الذات الأحدية والمستهلك في غيب الهويّة وبهذا الوجه كلّها فانية الذات مقهورة الإنيّة تحت كبرياء الأحدية غير متكثرة الهوية والمهيّة.

مصباح: إذا عثرت على آثار من معادن الحكمة ومَحَالّ المعرفة تنفى الصفات عن حضرة الذات والواحد من جميع الجهات فاعلم أن المقصود نفيها عن تلك الهويّة الغيبية الأحدية المقهورة عندها الأسماء والصفات وإذا رأيت إيقاعها عليها في التنزيل العزيز الحكيم من لَدُن علّي عظيم وفي أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام فاعرف أنّها بحسب الظهور بفيضه الأقدس في الحضرة الواحدية ومقام الجمعية الإلهية.

مصباح: إنيّ لأتعجّبُ من العارف المتقدم ذكره مع عُلُوّ شأنه وقوّةِ سلوكِه كيف ذهل عن ذلك المقام الذي هو مقام نظر العرفاء العظام حتى حكم بنفي الصفات الثبوتية عن الحق جل شأنه وحكم بأن الصفات كلّها ترجع إلى معان سلبية وتحاشى كلّ التحاشي عن عينية الصفات للذات وأعجب منه الحكم بالاشتراك اللفظي بين الأسماء الإلهية والخلقية والصفات الواقعة على الحق والخلق وأعجب من الأعجب ما سلك في الطليعة الأولى من البوارق الملكوتية من أنّ ما يوصف بوصف فله صورة لأن الوصف أعظم الحدود للشيء في المعاني ولا إحاطة أوضح من إحاطة الصفة في العوالي وجعل ذلك سرّ ما ورد في الخبر أنّ الله لا يوصف مع ذهابه قدّس الله سرّه في تلك الرسالة على ما سمعت في المصابيح السابقة إلى أنّ كلّ الأسماء مشتملة على جميع مراتب الأسماء فإذا كانت الأسماء كلّ الحقائق فلها مقام الإطلاق كما للاسم الله فكانت لمبادئها التي هي الصفات مقام الإطلاق وظنيّ أنّ ذهابه إلى ذلك لعدم استطاعته على جمع الأخبار فوقع فيما وقع وليس هذا المختصر الموضوع لغير تلك الأبحاث محلّ تفصيل تلك المباحث العظام فالواجب أن نكتفي بنقل كلام منه في عينيه الصفات للذات فإني لا أتملّك إلاّ من ذكره والكلام فيه.

مصباح: قال رضي الله عنه في المجلّد الثالث من شرح كتاب التوحيد لشيخنا الصدوق القمي﵀ وهو كتاب عزيز كريم متفرّد في بابه في باب أسماء الله تعالى والفرق بين معانيها وبين معاني أسماء المخلوقين بهذه العبارة: المقام الثاني في رجوع تلك الصفات أي الذاتية منها إلى سلب نقائضها ولنذكر في هذه الغاية القصوى برهانين:

البرهان الأول: قد بيّنّا أنّ تلك المفهومات التي عندنا أمور وجوديّة وأنها لا سبيل لها إلى حضرة الأحدية تعالى شأنه فالذي عند الله جلّ جلاله منها لو كانت على المعنى الذي يليق بعزّ جلاله أمور وجودية ولا ريب أنها صفات فإنّ الصفة ما يكون معه الشيء بحال وكل ما يكون معه الشيء بحال يكون لا محالة غير ذلك الشيء بالضرورة وكل ما يكون غير المبدأ الأول وكان أمراً ثبوتياً معلول الله ثمّ ساق إلى آخر البرهان بذكر توالي فاسدة كلّها مبتنية على تلك المقدمات.

ثمّ أقام قدّس سرّه برهاناً آخر مبيناً على بعض مقدمات هذا البرهان ثمّ قال: هذا الذي ذكرنا إلى الآن هي البراهين العقلية على المطلبين المذكورين أي اشتراك الصفات بين الخالق والمخلوق اشتراكاً لفظياً ورجوع الصفات الذاتية إلى سلب النقائض.

وأمّا النقل فمتضافر بل يكاد أن يكون من التواتر انتهى. وقد ذكر في

المقام الأول أي مقام إثبات الاشتراك بين صفات الخالق والمخلوق برهاناً وصفه بأجود البراهين وعمدة مقدماته أنّ الذات يقال لما له الشيئي هو هو والصفة لما يكون معه الشيء بحال.

مصباح: إنّ المصابيح السالفة رفعت الظلام عن وجه قلبك وعلمتك ما لم تكن تعلم من كيفية عينيّة الذات والصفات والأسماء وعلمت أنّ الصفات لم تكن من قبيل الحالات والعوارض الزائدة عليها بل هي عبارة عن تجلّيها بفيضها الأقدس في الحضرة الواحدية وظهورها في الكسوة الأسمائية والصفاتية وحقيقة الأسماء بباطن ذاتها هي الحقيقة المطلقة الغيبية فبالمراجعة إليها تعرف ما في كلام هذا العارف الجليل ﷺ من أنّ برهانه يرجع إلى المناقشة اللفظية والباحثة اللغوية التي هي من وظيفة علماء اللغة والاشتقاق وليس للعارف الكامل شأن معها ولا من جبلّته أن يحوم حولها فإنّها الحجاب عن معرفة الله والقاطع طريق السلوك إليه مع أن هذا العارف السالك كرَّ على ما فَرَّ منه فلقائل أن يقول:

أيها الشيخ العارف جعلك الله في أعلى درجات النعيم أنت الذي فررت من الاشتراك المعنوي بين الحق والخلق وجعلت التنزيه ملاذاً للتشبيه ما الذي دعاك إلى الذهاب إلى أنّ الصفة ما معه الشيء بحال في أيِّ موطنٍ من المواطن حصل وفي أيّ موجود من الموجودات وجد؟ بمجرد أن الصفة في الخلق لا مطلقاً بل في عالم المادة والهيولى كذلك هل هذا إلاّ التشبيه الذي وردت الأخبار الصحيحة من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام بل الكتاب العزيز على نفيه؟ وفررت منه حتى وقعت فيما

وقعت من نفي الصفات التي قال الله تعالى شأنه في حقّها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ وقال تعالى شأنه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾. وهل زعمت أنّ من قال من الحكماء العظام والأولياء الكرام (رضوان الله عليهم) بعينية الصفات للذات المقدسة أنها ما ذكرت بعينها وهل المراد إلا أنّ الوجود الحقيقي بأحدية جمعه يصلح فيه المتغايرات ويجتمع فيه الكثرات بالهوية الوحدانية الجمعية المنزّهة عن شائبة الكثرة؟ فنطق لسان الحكماء المتألهين لإفادة ذلك الأمر العظيم الذي كان العلم به من أجلّ المعارف الإلهية بأن بسيط الحقيقة كل الأشياء بالوحدة الجمعية الإلهية.

وقال العرفاء الكاملون إنّ الذات الأحدية تجلى بالفيض الأقدس أي الخليفة الكبرى في الحضرة الواحدية وظهر في كسوة الصفات والأسماء وليس بين الظاهر والمظهر اختلاف إلا بالاعتبار، هذا وليس ها هنا موضع البحث عن هذه الحقائق فإنّ هذه الرسالة موضوعة لبيان غيرها فلنرجع إلى المقصود.

مصباح: اعلم أيهّا الخليل الروحاني وفقك الله لمرضاته وجعلك وإيّانا من أصحاب شهود أسمائه وصفاته أنّ هذه الخلافة من أعظم شؤونات الإلهية وأكرم مقامات الربوبية وباب أبواب الظهور والوجود ومفتاح مفاتيح الغيب والشهود وهي مقام العندية التي فيها مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو بها ظهرت الأسماء بعد بطونها وبرزت الصفات غبّ كمونها وهذه هي الحجاب الأعظم الذي يعدم عنده كلّ صغير وكبير ويستهلك لدى حضرته كلّ غنيّ وفقير وهذا الفضاء اللاّ يتناهى الذي فوق العرش الذي لا خلأ فيه ولا ملأ وهذه سُبُحات وجهه التي لو كشفت الحجب النورانية والظلمانية لأحرقت ما انتهى إليه بصره فسبحانه ما أعظم قدره وأجلّ شانه وأكرم وجهه وأرفع سلطانه سبوّح قدّوسٌ ربّ السماوات الأسمائية والأراضي الخلقية فيا عجباً من خفّاش يريد أن يمدح شمس الشموس الطالعة وحرباء يصف البيضاء القاهرة الساطعة فما أعجز القلم والبيان وأكلّ القلب واللسان ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ فكيف بمبدأ الكلمات ومصدر الآيات فإنّ بحر الوجود وأقلام عالم الغيب والشهود يعجز عن وصف تجلي من تجلّياته بُهر بُرهانُه وعظُم سلطانه.

مصباح: هذه الخلافة هي روح الخلافة المحمّدية وربها وأصلها ومبدئها منها بدأ أصل الخلافة في العوالم كلّها بل أصل الخلافة والخليفة والمستخلف إليه وهذه ظهرت تمام الظهور في حضرة اسم الله الأعظم ربّ الحقيقة المطلقة المحمدية أصل الحقائق الكلية الإلهية فهي أصل الخلافة والخلافة ظهورها بل هي الظاهرة في هذه الحضرة لاتحاد الظاهر والمظهر كما أشار إليه في الوحي الإلهي إشارة لطيفة بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾.

وقال شيخنا وأستاذنا في المعارف الإلهية العارف الكامل الميرزا محمد علي الشاه آبادي الأصفهاني أدام الله أيام بركاته في أوّل مجلس تشرّفت بحضوره وسألته عن كيفية الوحي الإلهي في ضمن بياناته أنّ (ها) في قوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ إشارة إلى الحقيقة الغيبية النازلة في بنية المحمّدية التي هي حقيقة ليلة القدر.

مصباح: ولعلّك بعد المصابيح الماضية المستنيرة بالأنوار الإلهية المنورة لقلبك والنفثة الروحية النافحة في روعك عرفت كيفية ارتباط هذه الخليفة الكبرى بالأسماء الحسنى والصفات العليا وأنّ ارتباطها بها ارتباط افتقار ووجود كما أنّ ارتباط هذه بها ارتباط تجلّي وظهور فإنّ الحقيقة الغيبية الإطلاقية لا ظهور لها بحسب حقيقتها فلا بدّ لظهورها من مرآة يتجلى فيها عكسها فالتعيّنات الصفاتية والأسمائية مرائي انعكاس ذلك النور العظيم ومحلّ ظهوره.

مصباح: الصور المنعكسة في المرائي الحسيّة متشكل بشكلها من الاستدارة والاستقامة وتتلوّن بلونها من الحمرة والصفرة وغيرها وبحسب كدورتها وصفائها تختلف الصورة اختلافاً بيّناً مع أنّ تلك الاختلافات لم تكن في ذي الصورة وتكون بحسب الاستعدادات للمرائي كذلك وجه الحضرة الغيبية والهويّة العمائية المنعكسة في المرائي الأسمائية والصفاتية مع عدم تعيّنها بنفس ذاتها لعدم ظهورها بذاتها تتعين بتعيّنات الأسماء والصفات وتتلون بلونها وتتجلى فيها بمقدار صفائها وتظهر فيها حسب استعداداتها وتكون مع الرحيم رحيماً ومع الرحمن رحماناً ومع القهّار قهّاراً ومع اللطيف لطيفاً إلى غير ذلك من الجلال والجمال.

مصباح: إن الأسماء والصفات الإلهية في الحضرة الواحدية مع كونها مظهرة لهذه الحقيقة الغيبية والخليفة الإلهية ومظهرة إيّاها حُجُبٌ نورية عن حقيقتها كلٌّ حسب درجتها فهي دائماً محتجبة في الأسماء والصفات مختفية تحت أستارها فهي مشهودة بعين شهودها ظاهرة بعين ظهورها مع اختفائها فيهما وبهما لكون المطلق باطن المقيّد ومحجوباً به كما أن النور الحسّي مع كونه مظهراً للسطوح غير مشاهد بحقيقتها ونفسها وكما أن المرآة مع كونها مظهرة للصورة المنعكسة فيها محجوبة بها فالصورة المرآتية مع كونها ظهور المرآة مختفية فيها المرآة وهي غير ظاهرة في موضع انعكاسها مع كون الصورة هي المرآة الظاهرة بتلك الصورة فالحقيقة الغيبية أيضاً مع كونها ظاهرة بنفس ظهور الأسماء مختفية فيها وبها اختفاء المرآة في الصورة فالأسماء والصفات من الحجب النورية التي وردت أنّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة وهي هنا أسرار لا رخصة في إظهارها.

مصباح: ومما تلونا عليك في المصابيح السالفة تقدر على الحكومة بين العرفاء الكاملين في تحقيق حقيقة العماء الواردة فيها الحديث النبوي حين سأل عنه: أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟. قال ﷺ على ما حكى عنه: كان في عماء.

وقد اختلفت كلمة الأصحاب فيها فقيل هي الحضرة الأحدية لعدم تعلق المعرفة بها فهي في حجاب الجلال وقيل هي الواحدية وحضرة الأسماء والصفات لأنّ العماء هي الغيم الرقيق الحائل بين السماء والأرض وهذه الحضرة واسطة بين سماء الأحدية وأرض الكثرة.

ونحن نقول: يشبه أن تكون حقيقة العماء هي حضرة الفيض الأقدس والخليفة الكبرى فإنها هي الحقيقة التي لا يعرفها بمقامها الغيبي أحد ولها الوساطة بين الحضرة الأحدية الغيّبية والهوية الغير الظاهرة وحضرة الواحديّة التي تقع فيها الكثرة كم شئت وإنّما لم نحملها على الحقيقة الغيبية لأنّ السؤال عن الرب وهذه الحقيقة غير موصوفة بصفة كما عرفت فيما مرّ عليك ولا على الحضرة الواحدية لأنها مقام اعتبار الكثرة العلمية.

قال المحقق القونوي في مفتاح الغيب:

العماء الذي ذكره النبيﷺ مقام التنزّل الرباني ومنبعث الجود الذاتي

الرحماني من غيب الهوية وحجاب عزة الإنيّة وفي هذا العماء يتعين مرتبة النكاح الأول الغيبي الأزلي الفاتح لحضرات الأسماء الإلهية بالتوجهات الذاتية انتهى.

وهو وإن كان منظوراً فيه من بعض الجهات إلا أنّه لا يخلو من تأييد لما ذكرنا.

مصباح: إذا تمّ ظهور عالم الأسماء والصفات ووقعت الكثرة الأسمائية كم شئت بظهور الفيض الأقدس في كسوتها فُتِحَت أبواب صور الأسماء الإلهية إلى حضرة الأعيان الثابتة في النشأة العلميّة واللوازم الأسمائية في الحضرة الواحدية فتعين كلّ صفة بصورة واقتضى كلّ اسم لازماً حسب مقام ذاته من اللطف والقهر والجلال والجمال والبساطة والتركيب والأولية والآخرية والظاهرية والباطنية.

مصباح: أوّل اسم اقتضى ذلك هو اسم الله الأعظم ربّ العين الثابتة المحمّدية في النشأة العلمية فحصل الارتباط أي ارتباط الظاهر والمظهر والروح والقالب والبطون والظهور فالعين الثابت للإنسان الكامل أول ظهور في نشأة الأعيان الثابتة ومفتاح مفاتيح سائر الخزائن الإلهية والكنوز المخفية الربّانية بواسطة الحُبّ الذاتي في الحضرة الألوهية.

مصباح: ظهور سائر اللوازم الأسمائية في حضرة الأعيان بتوسط العين الثابتة الإنسانية كما أنّ ظهور أربابها في الحضرة الأسمائية بتوسط ربهّا أي اسم الله الأعظم فلهذه العين أيضاً خلافة على جميع الأعيان ولها النفوذ على مراتبها والنزول في مقاماتها فهي الظاهرة في صورها والسائرة في حقائقها والنازلة في منازلها وظهور الأعيان يتبع ظهورها كلٌّ حسب مقامها بالمحيطية والمحاطية والأوّلية والآخرية حسب ما يعرفه أرباب الشهود والمعارف ويعجز عن عدّها الكتب والصحائف.

مصباح: هذه الحضرة هي حضرة القضاء الإلهي والقدر الربوبي وفيها يختص كل صاحب مقام بمقامه ويقدّر كلّ استعداد وقبول بواسطة الوجهة الخاصّة التي للفيض الأقدس مع حضرة الأعيان فظهور الأعيان في الحضرة العلمية تقدير الظهور العيني في النشأة الخارجية والظهور في العين حسب حصول أوقاتها وشرائطها.

مصباح: فالآن آن لك أن تعرف بإذن الله وحسن توفيقه حقيقة الحديث الوارد في جامع الكافي من طريق شيخ المحدثين ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني﵀ في باب البداء عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إن لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلاّ هو من ذلك يكون البداء وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياؤه فنحن نعلمه. صدق ولي الله. فإن منشأ البداء هي حضرة الأعيان التي لا يعلمها إلا هو والاطلاع على العين الثابتة الذي يتفق لبعض الأولياء كالإنسان الكامل يعدّ من العلم الربوبي دون علم الأنبياء والرسل كما ورد في العلم الغيبي أنه يعلم الغيب من ارتضى من رسول وقال أبو جعفر عليه السلام: والله محمّد ممّن ارتضاه.

والبداء بحسب النشأة العينية وإن كانت في الملكوت كما هو المحقق لدى الحكماء المحققين إلاّ أنّ منشأه هي الحضرة العلمية فما وقع من بعض المحققين من شرّاح الكافي من أنّ البداء ليس منشؤه من عنده بل ولا من عند الخلق الأول بل إنما ينشأ في الخلق الثاني بزعم لزوم الجهل على العالم على الإطلاق، من ضيق الخناق نعم لا مضايقة لكون ظهور البداء بالمعنى الذي ذكروه في الخلق الثاني وليكن المنشأ الذي منه نشأ البداء هو ما عرفت.

مصباح: ومن تلك العلوم التي تنكشف على قلبك بالاطّلاع على المصابيح الماضية يظهر سرّ من أسرار القدر فإن القوم قد يقولون فيه أقوالاً لا ترضي ويذهب كل من مذهب لا يرتضى وقد ورد عن أهل بيت العصمة خلاف ما توهمّوا ونقضت أحاديث المعصومين عليهم السلام ما غزلوا كما في كتاب التوحيد لشيخنا صدوق الطائفة رضي الله عنه عن الأصبغ بن نباتة قال قال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر: ألا إنّ القدر سر من سرّ الله وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله مطويّ عن خلق الله مختوم بخاتم الله سابق في علم الله وضع الله العباد من علمه ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم لأنّهم لا ينالون بحقيقة الربانية ولا بقدرة الصمدية ولا بعظم النورية ولا بعزّة الوحدانية لأنّه بحر زاخر خالص لله تعالى عمقه ما بين السماء والأرض عرضه ما بين المشرق والمغرب أسود كالليل الدامس كثير الحيّات والحيتان يعلو مرّة ويسفل أُخرى في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطّلع إليها إلا الله الواحد الفرد فمن تطلّع إليها فقد ضادّ الله عزّ وجلّ في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن ستره وسرّه وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير. صدق ولي الله.

ولعمر الحبيب أنّ في هذا الحديث الذي صدر من مصدر العلم والمعرفة أسرار لا يبلغ عشراً من أعشارها عقول أصحاب العرفان فضلاً

عن أنظارنا القاصرة وأفكارنا الفاترة ومع ذلك شاهد صدق على صدق مقالتنا وكفى به شهيداً ودليل متقن على كثير مما تلونا عليك وسنتلو من ذي قبل الله وكفى به دليلاً فاعتبر بعين البصيرة ولقد خرجنا عن طور الرسالة ليكن كلام الحبيب جرّ كلامنا فليعذرني الإخوان فلنرجع إلى المقصود.

مصباح: اعلم أن النسبة بين العين الثابتة للإنسان الكامل وبين سائر الأعيان في حضرة الأعيان كالنسبة بين اسم الله الأعظم ومقام الألوهية وحضرة الواحدية والجمع فكما أنّه بجهة غيبية لا يظهر في مرآة ولا يتعينّ بتعيّن وبجهة أُخرى تظهر في جميع المراتب الأسمائية وينعكس شعاع نوره في مرائيها وظهور سائر الأسماء يتّبع ظهوره كذلك العين الثابتة للإنسان الكامل بجهته الجمعية الإجمالية المنتسبة إلى حضرة الجمعية لا يظهر في صور الأعيان فهو بهذه الجهة غيب وبجهته الأُخرى ظاهر في صور الأعيان في كلٍّ بحسب استعداده ومقامه وصفاء مرآته وكدورتها.

مصباح: قال القيصري في مقدمات شرح فصوص الحكم: الماهيات هي الصور الكلية الأسمائية المتعينة في الحضرة العلمية تعيّناً أوّلياً وتلك الصور فائضة عن الذات الإلهية بالفيض الأقدس والتجلي الأول بواسطة الحُبّ الذاتي وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو ظهورها وكمالها فإن الفيض الإلهي ينقسم إلى الفيض الأقدس والمقدّس وبالأول تحصل الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في العلم وبالثاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها وإليها أشار الشيخ بقوله «والقابل لا يكون إلاّ من فيضه الأقدس».

مصباح: قد عرفت في المصابيح السالفة أنّ التجلي الأول بالفيض الأقدس هو الظهور باسم الله الأعظم في الحضرة الواحدية قبل أن يكون للأعيان عين وأثر وأمّا الأعيان الثابتة فتحصل بالتجلي الثاني للفيض الأقدس وهو التجلي بالألوهية في الحضرة العلمية ومفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلاّ هو في تلك المرتبة هي الأسماء والصفات التي هي حاصلة للحضرة العندية فالفيض الأقدس لا يتجلّى بلا توسّط في حضرة الأعيان بل بتوسط اسم الله وإن كان متّحداً معه إلاّ أن الجهات لا بدّ وأن تنظر كما صحّ عن أولياء الحكمة: لولا الحيثيات لبطلت الحكمة وأما قول الشيخ: «والقابل لا يكون إلاّ من فيضه الأقدس» باعتبار أنّ الكل منه لا أنّ الأعيان تحصل بتجلّيه الأولى هذا وإن كان لكلام هذا الشارح أيضاً وجه صحة.

مصباح: عين الثابت للإنسان الكامل خليفة الله الأعظم في الظهور بمرتبة الجامعية وإظهار الصور الأسمائية في النشأة العلمية فإن الاسم الأعظم لاستجماعه الجلال والجمال والظهور والبطون لا يمكن أن، يتجلى بمقامه الجمعي لعين من الأعيان لضيق المرآة وكدورتها وسعة وجه المرئي وصفائها فلا بدّ من مرآة تناسب وجه المرئي ويمكن أن ينعكس نوره فيها حتى يظهر عالم القضاء الإلهي ولولا العين الثابتة الإنسانية لا تظهر عين من الأعيان الثابتة ولولا ظهورها لما ظهرت عين من الأعيان الخارجية ولا تنفتح أبواب الرحمة الإلهية فبالعين الثابتة الإنسانية اتصل الأول بالآخر وارتبط الآخر بالأول فهي مع كل الأعيان معيّة قيّوميّة.

مصباح: إياك ثم إياك والله حفيظك في أُولاك وأُخراك أن تتبع ما تشابه من كلمات العرفاء السالكين وبيانات الأولياء الكاملين فتظن أن في حضرة الأعيان والأسماء تكثّراً أو تغيّراً أو تميّزاً أو مرآة ومرئياً أو وجود شيء من الأشياء أو حصول حقيقة من الحقائق أو خبراً من عين من الأعيان أو أثراً من اسم من الأسماء على النحو الذي في الممكن، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً فإنّ اتّباع المتشابهات من كلماتهم من غير التجسّس لمغزى مرامهم والتفتيش البالغ لحقيقة مقاصدهم عند ولي مرشد يرشدك إليها يوجب الخروج عن طور التوحيد الذي هو قرّة أعين أهل المعرفة والأولياء والإلحاد بأسماء الله التي هي كعبة قلوب السالكين والعرفاء.

مصباح: فالآن وجب علي بحكم الأُخوة الإيمانية أن نشير إجمالاً إلى مرامهم فاعلم أنّ الذات الإلهية لما كانت تامّة فوق التمام بسيطة فوق البساطة فهي كل الأشياء بوجه بسيط إجمالي منزّه عن قاطبة الكثرات الخارجية والخيالية والوهمية والعقلية فهي كلّ الأشياء وليس بشيء منها وهذه قاعدة ثابتة في مسفورات أصحاب الحكمة المتعالية مبرهنة في الفلسفة الإلهية مكشوفة ذوقاً عند أصحاب القلوب وأرباب المعرفة مسدّدة بالآيات القرآنية مؤيّدة بالأحاديث المرويّة بالعرفاء الكُمّل لما شَهِدُوا ذلك ذوقاً ووجدوا شهوداً وضعوا لما شهدوا اصطلاحات وصنعوا لما وجدوا عبارات لجلب قلوب المتعلّمين إلى عالم الذكر الحكيم وتنبيه الغافلين وإيقاظ الراقدين لكمال رأفتهم بهم ورحمتهم عليهم وإلاّ فالمشاهدات العرفانية والذوقيات الوجدانية غير ممكنة الإظهار بالحقيقة، والاصطلاحات والألفاظ والعبارات للمتعلمين طريق الصواب وللكاملين حجاب في حجاب.

وأوصيك أيها الأخ الأعز أن لا تسوء الظن بهؤلاء العرفان والحكماء الذين هم من خُلّصِ شيعة عليّ بن أبي طالب وأولاده المعصومين عليهم السلام وسُلاّك طريقهم والمتمسّكين بولايتهم وإيّاك أن تقول عليهم قولاً منكراً أو تسمع إلى ما قيل في حقهم فتقع فيما تقع ولا يمكن الاطلاع على حقيقة

مقاصدهم بمجّرد مطالعة كتبهم من غير الرجوع إلى أهل اصطلاحهم فإن لكل قوم لساناً ولكل طريقة تبياناً ولولا مخافة التطويل والخروج عن المنظور الأصيل لذكرتُ من أقوالهم ما يحصل لك اليقين على ما ادعيناه والاطمئنان بما تلوناه لتكن الإطالة خروج عن طور الرسالة فلنعُد إلى المقصود الذي كنا فيه.

مصباح: هذه الخلافة التي سمعت مقامها وقدرها ومنزلها هي حقيقة الولاية فإنّ الولاية هي القرب أو المحبوبية أو التصرف أو الربوبية أو النيابة وكلها حق هذه الحقيقة وسائر المراتب ظلّ وفيئ لها وهي ربّ الولاية العلوية التي هي متّحدة مع حقيقة الخلافة المحمدية في النشأة الأمر والخلق كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

مصباح: حقيقة الخلافة والولاية بمقامها الغيبية التي لا يتعينّ بتعيّن ولا يتصف بصفة ولا يظهر في مرآة لا يكون لهما هيئة روحانية أصلاً وأما بمقام ظهورهما في صور الأسماء والصفات وانعكاس نورهما في مرائي التعينات هما على هيئته كرات محيطة بعضها على بعض وليكن الأمر في الكرات الإلهية والروحانية على عكس الكرات الحسّية فإن الكرات الحسية قد أحاط محيطها على مركزها وفي الكرات الإلهية والروحانية أحاط مركزها على محيطها بل المحيط فيها عين المركز باعتبار والفرق بين الكرات الإلهية والروحانية أنّ الأولى كانت مصمتة والثاني مجوّفة بالتجويف الإمكاني ومع كون الكرات الإلهية مصمتة كانت إحاطتها بالكرات المحاطة الإلهية والنازلة الروحانية أتمّ.

مصباح: لا تتوهمنّ أنّ الإحاطة في تلك الكرات كالإحاطة في الكرات الحسّيّة من كون بعضها في جوف بعض وتماسّ سطوح بعضها بسطوح بعض فإن ذلك توهّم فاسد وظنّ باطل فاخرج عن هذا السجن واترك دار الحسّ والوهم وارق إلى عالم الروحانيات وابعث نفسك عن هذه القبور الهالك سكّانها الظالم أهلها.

مصباح: قد وقع في كلام معلّم الصناعة الحكيم أرسطاطاليس أنّ الحقائق البسيطة على هيئة استدارة حقيقية وبرهن عليه العارف الجليل القاضي سعيد القمي﵀ قال في البوارق الملكوتية: الحقائق البسيطة سواء كانت عقلية أو غيرها يقتضي بذاتها استدارة حقيقية على حسب سعة الدرجة وضيقها وكلٌّ يعلم على شاكلتها وذلك لأن نسبتها إلى ما دونها مما في حيطتها لا يختلف بجهة دون جهة فلو كانت غير مستديرة لاختلفت النسبة (وهذا خلف) لا يمكن. انتهى.

وهذه مرقاة لفهم حقائق الأسماء الإلهية وإن كان الفرق بينهما ثابتاً كما أشرنا إليه.

هذا الذي أشرنا إليه أنموذج لأرباب الأسرار وإياك أن تهتك سراً عند الأغيار.

مصباح: إنّ النبوّة الحقيقية المطلقة هي إظهار ما في غيب الغيوب في الحضرة الواحدية حسب استعدادات المظاهر بحسب التعليم الحقيقي والإنباء الذاتي فالنبوّة مقام ظهور الخلافة والولاية وهي مقام بطونها.

مصباح: إنّ الإنباء والتعليم بحسب نشآت الوجود ومقامات الغيب والشهود مختلف المراتب فإنّ لكلّ قوم لساناً ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ فلهما مراتب شتّى تجمعها حقيقة الإنباء والتعليم.

فمرتبة منها ما وقع لأصحاب سجن الطبيعة وأرباب القبور المظلمة في عالم الطبيعة ومرتبة منها ما وقع لأهل السّر من الروحانيين والملائكة المقرّبين كما سيأتي إن شاء الله ذكرها وفي الرواية سبحنا وسبحت الملائكة وهللنا فهللت الملائكة إلى غير ذلك من فقرات الرواية الآتي ذكرها إن شاء الله في المشكاة الثانية ومن ذلك تعليم أبينا آدم عليه السلام.

ومرتبة منها ما وقع في الحقيقة الإطلاقية من حضرة الاسم الأعظم ربّ الإنسان الكامل.

ومرتبة منها ما وقع للأعيان الثابتة من حضرة العين الثابت المحمّدي ومرتبة عالية منها ما وقع لحضرة الأسماء في مقام الواحدية والنشأة العلميّة الجمعيّة من حضرة اسم الله الأعظم بمقامه الظهوري وفوق ذلك لا يكون إنباءً وظهوراً بل بطون وكمون.

مصباح: هل بلغَك إشارات الأولياء عليهم السلام وكلمات العرفاء (رضي الله عنهم) إنّ الألفاظ وُضعت لأرواح المعاني وحقائقها؟ وهل تدبّرت في ذلك؟ ولعمري إنّ التدبّر فيه من مصاديق قوله عليه السلام: تفكّرُ ساعةٍ خير من عبادة ستين سنة فإنه مفاتيح المعرفة وأصل أصول فهم الأسرار القرآنية ومن ثمرات ذلك التدبّر كشف حقيقة الإنباء والتعليم في النشآت والعوالم فإن التعاليم (في كل عالم بحسبه وطور يخصّه وتلك الأسرار مستورة عن أصحاب سجن الشهوات النفسانية)[1] وجهنام الطبيعة وأهل الحجاب عن أسرار الوجود فأخرج نفسك أيها الكاتب الغير المجاهد والمطرود والمعلون المعاند عن هذا السجن المظلم وابعثها عن ذلك القبر الموحش وقل: اللهم يا باعث من في القبور ويا ناشر يوم النشور ابعث قلوبنا عن هذه القبور الداثرة وارحل راحلتنا عن تلك القرية الظالمة لنشاهد من أنوار معرفتك وتسمع قلوبنا أنباء نبيك في النشأة القلبية لئلا يكون حظّنا من نبوته فقط حفظ دمائنا وأموالنا بإجراء الكلمة على اللسان ولا من أحكامه الإجزاء الفقهي والوفاق الصوري ولا من كتابه جودة القراءة وتعلّم تجويده فنكون

(١) الظاهر أن في العبارة سقط من الناسخ وما ذكر بين القوسين زيادة مني لانسجام المعنى: الفهري.

ممن قال تعالى فيهم ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ وقال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وقال تعالى: «فويل للذين يلون الكتاب بألسنتهم»[1].

(١) مع تقديم المعذرة إلى حضرة المعلّم الإلهي المؤلف العظيم يتراءى أنه قد وقع سبق قلم في ذكر الآية والآية لفظها هكذا: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية وهذه كما ترى لا تلائم المعنى المستشهد بها فكان الأولى إسقاطها على المتن ولكن الأمانة اقتضت ذكرها.

مصباح: هل قرأت كتاب نفسك وتدبّرت في تلك الآية العظيمة التي جعلها الله مرقاةً لمعرفة أسمائه وصفاته انظر ماذا ترى من أنباء حقيقتك الغيبية في عقلك البسيط بالحضور البسيط الإجمالي وفي عقلك التفصيلي بالحضور التفصيلي وفي ملكوت نفسك لتجلّي المثالي والملكوتي ثم يتنزل الأمر بتوسّط الملائكة الأرضية إلى عالم الملك.

وإن شئت قلت: بظهور جبروتك في الملكوت والملكوت في الملك فتظهر بالصوت واللفظ في النشأة الظاهرة الملكية هل الإنباء في تلك النشآت والمراحل وهذه العوالم والمنازل بنهج واحد وطريق فارد؟

مصباح: وبعد تلك القراءة وذلك التدبّر فارْقِ إلى مشاهدة أهل العرفان ومنزل أصحاب الإيمان من عرفان حقيقة الإنباء التي في عالم الأسماء التي كان كلامنا ها هنا فيها.

فاعلم أن الإنباء في تلك الحضرة هو إظهار الحقائق المستكّنة في الهوية الغيبية على المرائي المصيقلة المستعدّة لانعكاس الوجه العيني فيها حسب استعداداتها النازلة من حضرة الغيب بهذا الفيض الأقدس فاسم الله الأعظم أي مقام ظهور حضرة الفيض الأقدس والخليفة الكبرى والولي المطلق هو النبي المطلق المتكلّم على الأسماء والصفات بمقام تكلّمه الذاتي في الحضرة الواحدية وإن لم يُطلق عليه اسم النبي ولا يجري على الله تعالى اسم غير الأسماء التي وردت في لسان الشريعة فإنّ أسماء الله توقيفيّة.

مصباح: إنّ كلاًّ من الأسماء الإلهية في الحضرة الواحدية يقتضي إظهار كماله الذاتي المستكنّ فيه وفي مسمّاه على الإطلاق أي وإن حجبت اقتضاءات سائر الأسماء تحت ظهوره فالجمال يقتضي ظهور الجمال المطلق والحكم على الجلال واختفائه فيه والجلال يقتضي بطون الجمال تحت قهره وكذا سائر الأسماء الإلهية والحكم الإلهي يقتضي العدل بينهما وظهور كل واحد حسب اقتضاء العدل فتجلى اسم الله الأعظم الحاكم المطلق على الأسماء كلها بأسمى الحكم العدل فحكم بالعدل بينها فعدل الأمر الإلهي وجرت سنّة الله التي لا تبديل لها وتمّ الأمر وقضي وأمضي وهذا هو الحكم العدل وذلك هو الاختصام في الملأ الأعلى الذي جرى في لسان بعض العرفاء وسيأتي إن شاء الله ذكره في مقامه.

مصباح: قد ظهر لك إنّ شأن النبيﷺ في كلّ نشأة من النشآت وعالم من العوالم حفظ الحدود الإلهية والمنع عن الخروج عن حد الاعتدال والزجر عن مقتضى الطبيعة أي إطلاقها لا على الإطلاق فإن المنع على الإطلاق خروج عن طور الحكمة وقسر في الطبيعة وخلاف العدل في القضية وهو خلاف النظام الأتمّ والسنّة الجارية فالنبيّ هو الظاهر بأسمى الحكم العدل لمنع الإطلاق الطبيعية والدعوة إلى العدل في القضية وخليفته مظهره ومظهر صفاته وهذا أحد معاني قوله عليه السلام في حديث الكافي والتوحيد: وأولى الأمر بالمعروف والعدل والإحسان أي اعرفوهم بكذا إلاّ أنّ في الكافي: بالأمر بالمعروف، وليس هي هنا مقام تحقيق معنى الحديث وقد أشبعوا الكلام المشايخ العظام (رضوان الله عليهم) فيه بما لا مزيد عليه ولنا فيه التحقيق الرشيق ولعلّ بعضه يستفاد ممّا مرّ عليك من المصابيح النورية.

مصباح: قال كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني في مقدمات شرحه على قصيدة ابن فارض ما هذا لفظه:

النبوّة بمعنى الإنباء والنبيّ هو المنبئ عن ذات الله وصفاته وأسمائه وأحكامه ومراداته والإنباء الحقيقي الذاتي الأوّلي ليس إلاّ للروح الأعظم الذي بعثه الله تعالى إلى النفس الكليّة أولاً ثمّ إلى النفوس الجزئية ثانياً لينبئهم باللسان العقلي عن الذات الأحديّة والصفات الأزليّة والأسماء الإلهية والأحكام القديمة والمرادات الحسّية انتهى كلامه الشريف.

مصباح: هذا غاية بلوغهم في حقيقة النبوّة بل الخلافة والولاية أيضاً كما يظهر بالمراجعة إلى مسفوراتهم والمداقّة لمسطوراتهم وأنت بحمد الله وحسن توفيقه بعد استنارة قلبك بالمصابيح النورية واستضاءة سرّك بالحقائق الإيمانية تجلى حقيقة الخلافة ورفيقها لطور قلبك فصرت مغشياً عليه بالغشوة الغيبية الروحانية فأحييت بالحياة السرمدية الأبدية ولك أن تقول لهذا العارف الجليل وأمثاله: أيّها السالك طريق المعرفة إنّ النبوة التي وصفتها بأنّها الحقيقي الذاتي الأوّلي ظلّ النبوّة التي هي ظل النبوة الحقة الحقيقية في الحضرة الواحدية أي حضرة اسم الله الأعظم المبعوث على الأسماء في النشأة الواحدية المنبئ عن الحضرة الأحدية بلسانه الإلهي والتكلّم الذاتي ونبوّة نبيّناﷺ بحسب الباطن مظهرها ومنشآتها الظاهرة مظهر بطون نبوّته كما سيأتي إن شاء الله بيانها.

وأمّا قوله لينبئهم بلسانه العقلي عن الذات الأحدية إلى آخر فمجمل المراد يمكن تطبيقه على التحقيق الحقّ قد أشرنا سابقاً إليه في حجاب الزمر وهو ارتباط غيب الهويّة مع كلّ شيء بالوجهة الخاصّة من دون وساطة وبقائه تحت الأستار أولى وترك التكلّم في تلك الحقائق أسنى فلنغمض العين عنه ونشرع في الطور الآخر بتوفيق الله تعالى وحسن تأييده.

المشكاة الثانية: فيما يلقى إليك من بعض أسرار الخلافة والولاية والنبوّة في النشأة العينية وعالمي الأمر والخلق رمزاً من وراء الحجاب بلسان أهل القلوب من الأحباب وأرباب السلوك من أولي الأذواق والألباب وفيها أنوار إلهّية من مصابيح غيبية تشير إلى أسرار ربوبية.

المصباح الأول: فيما استنار القلب من نفحات عالم الأمر من ناحية النفس الرحماني طبقاً لذوق رحيق الهداية من كاس الولاية ودخل مدينة العلم والمعرفة من بابها بعد الاستئذان من أربابها وفيها أنوار تشير إلى أسرار.

نور: قد استنار قلبك من الأنوار الطالعة من المشكاة الأولى أنّ اسم الله الأعظم هو أحديّة جمع الحقائق الأسمائية الجلالية والجمالية واللطفيّة والقهرية لا فرق بينه وبين المقام الغيبي والنور الأقرب إلاّ بالظهور والبطون والبروز والكمون وهو كلّ الأسماء بالوحدة الجمعيّة والبساطة الأحدية المنزّهة عن الكثرة والمقدّسة عن اعتبار وحيثية.

كما استضاء روحُك بالإشراقات الملكوتية أنّ الهوية الغيبية لا تظهر في عالم من العوالم ولا ينعكس نوره في مرآة من المرائي إلاّ من وراء الحجاب.

فاعلم الآن إن كنت ممن ألقى السمع وهو شهيد أنّ الذات مع تعين من التعيّنات الأسمائية منشأ لظهور عالم مناسب لذلك التعيّن كتعيّنها باسم الرحمن لبسط الوجود باسم الرحيم لبسط كمال الوجود وباسم العليم لظهور العوالم العقلية وباسم القدير لبسط عوالم الملكوت ولأن الاسم هو الذات مع التعيّن الذي صار منشأ لظهور عالم من العوالم أو حقيقة من الحقائق صارت أسماء الله توقيفية فإن العلم بذلك علم إلهي لا يحصل إلاّ لمن يكون من أصحاب الوحي وأرباب التنزيل.

نور: بل نرجع ونقول إنّ كلّ فاعل من الفواعل في كلّ عالم من العوالم لا يكون بحسب ذاته منشأ لأثر من الآثار وظهور في النشآت عند أولي الأبصار فإنّ ذاته بذاته في حجاب الصفات وغيب الأسماء والملكات لا يظهر إلاّ من وراء الحجاب وتأثيراته من التعيّنات الأسمائية لا بذاته.

وتحت ذلك سرّ لا طاقة لإظهاره وبالحري أن نضعه تحت أستاره.

نور: لما تعلّق الحُبُّ الذاتي بشهود الذات في مرآة الصفات أظهر عالم الصفات وتجلى بالتجلي الذاتي في الحضرة الواحديّة في مرآة جامعة أولاً وفي مرائي أخرى بعدها على ترتيب استحقاقاتها وسعة المرآة وضيقها وبعد ذلك تعلّق الحُبُّ برؤيتها في العين فتجلى في المرائي الخلقية من وراء الحجب الأسمائية فأظهر العوالم على الترتيب المنظم وظهر في المرائي على التنسيق المنسق في المرآة الأتّم الأعظم بالاسم الأعظم أوّلاً وفي المرائي الأُخرى بعدها على ترتيبها الوجودي من الملائكة المقربين والبُهَمِ الصافين إلى أخيرة عوالم الملك والشهود نازلاً من الصعود.

نور: أوّل من فلق الصبح الأزل وتجلى على الآخر بعد الأول وخرق الأستار الأول هو المشيئة المطلقة والظهور الغير المتعين التي يعبّر عنها تارة بالفيض المقدّس لتقدّسها عن الإمكان ولواحقه والكثرة وتوابعها.

وأُخرى بالوجود المنبسط لانبساطها على هياكل سماوات الأرواح وأراضي الأشباح.

وثالثة بالنفس الرحماني والنفح الربوبي.

وبمقام الرحمانية والرحيمية وبمقام القيومية وبحضرة العماء وبالحجاب الأقرب وبالهيولى الأولى وبالبرزخية الكبرى وبمقام التدلّي وبمقام أو أدنى وإن كان ذلك المقام عندنا غيرها بل ذاك ليس بمقام أصلاً وبمقام المحمدية والعلوية كل على حسب مقام ومورد.

عباراتنا شتى وحسنك واحد   وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشير

إلى غير ذلك من الاصطلاحات والعبارات حسب المراتب والمقامات.

نور: إن للمشيئة المطلقة مقامين: مقام اللاّتعين والوحدة ومقام اللاظهور بالوحدة ومقام الكثرة والتعين بصورة الخلق والأمر.

وهي بمقامها الأوّل مرتبطة بحضرة الغيب هي الفيض الأقدس ولا ظهور لها بذلك المقام.

وبمقامها الثاني ظهور كلّ الأشياء بل هي الأشياء كلّها أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

نور: إنّ الحضرة المشيئة لكونها ظهوراً لحضرة الجمع تجمع كلّ الأسماء والصفات بأحديّة الجمع وهذا مقام تجلي العلمي في نشأة الظهور والعين فلا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السماوات والأرضين.

فكل مراتب الوجود مقام العلم والقدرة والإرادة وغيرها من الأسماء والصفات بل كلّ المراتب من أسماء الحقّ فهو مع تقدّسه ظاهر في الأشياء كلّها ومع ظهوره مقدّس عنها جلّها فالعالم مجلس حضور الحق والموجودات حضّار مجلسه.

نور: قال شيخنا العارف الكامل شاه آبادي أدام الله ظله الظليل على رؤوس مريديه ومستفيديه.

إنّ مخالفة موسى على نبينا وآله عليه السلام عن خضر عليه السلام في الموارد الثلاثة مع عهده بأن لا يسأل عنه لحفظ حضور الحق فإن المعاصي هتك مجلس الحق والأنبياء عليهم السلام مأمورون بحفظ الحضور وحيث رأى موسى عليه السلام إنّ خضراً ارتكب ما بظاهره ينافي مجلس الحضور نسي ما عاهد معه وحفظ الحضرة وكان خضر النبي لقوّة مقام ولايته وسلوكه يرى ما لا يرى موسى عليه السلام فموسى حفظ الحضرة وخضر الحاضر وبين المقامين فرق جلي يعرفه الراسخون في المعرفة.

نور: حضرة المشيئة المطلقة لفنائها في الذات الأحدية واندكاكها في الحضرة الألوهية واستهلاكها تحت سطوع نور الربوبية لا حُكم لها في نفسها بل لا نفسيّة لها أصلاً فهي ظهور الذات الأحدي في هياكل الممكنات على قدر استحقاقها وبروز الجمال السرمدي في مرآة الكائنات على قدر صفائها وبها يكسو كسوة الإمكان ويتلبّس بلباس الأكوان فظهر واستتر وبرز وضمر وتجرّد وتمثل وتوحّد وتكثّر فلقد أشار إلى ذلك بكمال اللطافة وأرمز حق الرمز بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فانظر بكمال المعرفة سرّها وتدبّر طورها وغورها كيف تبين الحقيقة بألطف بيان بحيث لا يتوحش عنها الأذهان القاسية ولا ينبو عنها الطباع الغير المستقيمة مع إظهارها لأهل الحقيقة والمعرفة وبيانها بأتّم بيان لأصحاب القلوب والأرواح الصافية فقال إنه تعالى ظهور السماوات والأرض أي عالم الغيب والشهادة والأرواح والأشباح فهو تعالى بكمال تقدّسه ظاهر في مرائيها وظهورها هو ظهوره تعالى فانظر كيف مثّل نوره بالمصابيح المجلُوّ من خلف الزجاجة الرقيقة على البساط ولعمري أنّ فيها رموزاً على حقائق يعجز عن ذكرها البيان ويكلّ عنها اللسان وليست هذه الرسالة موضوعة لذلك فالأولى الكشح عنها وإيكال الأمر إلى أهلها.

نور: وأنت بما تلوناه عليك من البيان ورفعنا الحجب عن بصيرتك بالعيان تقدر بحمد الله القادر المنّان على توفيق كلمات أصحاب الكشف والمعرفة الذوقي وأرباب الحكمة والطريق البرهاني ألا وأنها غير متخالف الحقيقة وإن كان القائل بها متفاوت الطريقة فإن السلوك إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وإن كان المقصد هو الله الخالق حيث قالت الطائفة الأولى في ذلك المقام إنه تعالى قدسه ظهر في مرائي التعينات وملابس المخلوقات ومجلي الحقائق ومهبط الرقائق كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وعن النبيﷺ «لو دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبطتم على الله» وورد إشارة إلى ذلك أن معراج يونس على نبينا وآله عليه السلام كان في بطن حوت كما أنّ معراج رسول اللهﷺ بعروجه إلى فوق الجبروت.

وقالت الطائفة الأخرى إن سلسلة الموجودات من عالمي الأمر والخلق مراتب فعله ومدارج خلقه وأمره وأنه تعالى قدسه منزّه عن العالمين ومقدّس عن النزول في محفل السافلين وأين التراب وربّ الأرباب وأنت قد عرفت بتأييد رحماني من ناحية النفس الرحمة من جانب يمن القدس أن مقام المشيئة المطلقة والحضرة الألوهية لمكان استهلاكها في الذات الأحدية واندكاكها في الإنية الصرفة لا حكم لها فهي معنى حرفي متعلّق بعزّ قدسه تعالى.

والآن تعلم أن الموجودات الخاصّة في كل نشأة من النشآت ظهرت والأنوار المتعينة في كل مرتبة من المراتب برزت مستهلكات في الحضرة الألوهية فإن المقيد ظهور المطلق بل عينه والقيد أمر اعتباري كما قيل:

تعين ها أمور اعتبارى است ـ

والعام هو التعين الكل فهو اعتبار وخيال في خيال عند الأحرار والوجود من صقعه وحضرته لا حكم له بذاته فلا بد للحكيم المتألّه أن يستهلك التعينات في الحضرة الأحدية ولا يغض عينه اليمنى وينظر باليسرى كما أنه لا بد للعارف الشاهد أن يتوجه إلى الكثرات وينظر باليسرى إلى التعينات.

وبالجملة إن مغزى مرامهم وإن كان أمراً واحداً ومقصداً فارداً إلا أنّ غلبة حكم الوحدة وسلطانها على قلب العارف يحجبه عن الكثرة فاستغرق في التوحيد وغفل عن العالمين ومقامات التكثير وحكم الكثرة على الحكيم يمنعه عن إظهار الحقيقة ويحجبه عن الوصول إلى كمال التوحيد وحقيقة التجريد وكلاهما خلاف العدل الذي به قامت سماوات لطائف السبع الإنسانية فإن كنت ذا قلب متمكن في التوحيد وحصل لك الاستقامة التي قال النبيﷺ فيها شيّبتني سورة هود لمكان هذه الكريمة لنقصان أمته وتكفّله لهم[1] فاتبع الحق الحقيق والحقيقة الحريّ بالتصديق وهو أنّ

(١) توضيحه: إن الآية الكريمة: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ ذكرت في سورتين: الشورى وهود ومع ذلك لم يقل رسول اللهﷺ شيبتني سورة الشورى أو سورتي الشورى وهود بل خصّ سورة هود بالذكر وذلك لأن في آية هود زيادة قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ حيث طلب استقامة التائبين معه منه ﷺ وهو عليه السلام قد تكفل هذه الاستقامة وهذا الذي شيّبته وإلاّ فاستقامته في نفسه أمر غريب متعب له وإنما المتعب والمحرج له عليه السلام استقامة أمته =

حضرة المشيئة المطلقة المستهلكة في الذات التي هي ظلّ الله الأعظم وحجابه الأقرب الأكرم وظهوره الأوّل ونوره الأتم بحقيقتها مستهلكة في الحضرة الأحدية نازلة إلى العوالم السافلات وبيداء الظلمات وهي مقام ألوهية الحق الأول في السماوات العلى والأرضين السفلى ولا حكم لها بنفسها بل لا نفسية لها، فإن قلت: إنّ الله تعالى ظاهر في الأكوان ومتلبّس بلباس الأعيان صدقت وإن قلت: إنه تعالى مقدّس عن العالمين صدقت.

فعليك بتحكيم هذا الأساس والتحقّق بهذا المقام فإنّه من العلم النافع في أُولاك وأُخراك.

= ولهذا قال: شيبتني سورة هود، كذا نقله المؤلف في مواضع أخر عن شيخه وأستاذه العارف الكامل شاه آبادي (قدس سره).

نور: وبالحريّ أن نشير إلى أصل الحقيقة بخرق الحجاب بلسان أصحاب السلوك العلمي من ذوي اللّباب فإن طريقهم سهل المأخذ عند جمهور أهل الخطاب وإن كان طريق أهل الله أقرب إلى الصواب لكونهم رافضين للنقاب فنقول: لما كان الحق تعالى شأنه في كمال التقدّس عن الأوضاع والجهات وتمام التنزّه عن المكان والمكانيّات ونصاب يرتفع عن الزمان والزمانيات لم يكن نسبته تعالى مع فعله كنسبة سائر الفواعل مع أفعالها فإن سائر الفواعل أيّ فاعل كان حيث كان في قيد الماهية وأسر التعين فمقام ماهيّته وذاتيته يصحّح الغيريّة مع أثره وفعله فالفواعل الغير الواجبة بحسب مقام ذاتها التي هي التعين والماهيّة منفصل الذات عن الفعل والأثر منعزل الحقيقة عن الذي فيه أثّر وإن كان في هذه الفواعل أيضاً مراتب في النورية والكمال ودرجات في الشدّة والضعف فإن فواعل عالم الملك والطبيعة لكونها تحت حكومة الأبعاد المكانية وسلطان الجهات الإمكانية ولأسرها بقيد الهيولى والهيولانيات وتقيّدها بقيود المادّة والمادّيات وسلاسل الزمان والحركات صارت آثارها منعزل الوجود عنها وضعاً ومنفصل الهويّة عنها مكاناً وهذا أعلى مراتب العزل والانفصال وذلك لتشابك وجوداتها مع الإعدام وبُعدها عن ساحة قُدس الملك العلاّم.

وأما موجودات عالم العقل ومقام التجرّد ومحل الأنس وموطن التفرّد لتنزهها عن تلك القشور وقربها من عالم النور بل كونها من أصل النور ونوراً على نور واندكاك جهات إمكانها في وجوب الأحدي وجبر نقصان ماهياتها بالوجود السرمدي ولهذا يقال بالوعاء الذي هي فيه: عالم الجبروت لجبر نقصانها ورفض إمكانها. كانت مقدّسة عن الأوضاع مع منفعلها ومنزهة عن جهات هذا العالم الأدنى ولقد صحّ عن الأوائل أن العالم العقلي كان كلّها في الكلّ لا حجاب مسدول بينها ولا وضع لبعضها مع بعض ولا مع غيرها هذا.

هذا مع أن النقطة السوداء الإمكانية على وجهها وذُلّ الفقر الذاتي على ناصيتها.

فإذا كان حال العالم العقلي مع إمكانه الذاتي كذلك فانظر ماذا ترى في حق مبدأ الوجود المنزّه عن كلّ تعينّ وكثرة وجهة والمقدس عن الماهية وجهات الغيرية فهو تعالى ظاهر بظهور الأشياء كظهور الأجسام بالأنوار الحسية ولا كظهور شيء بشيء وباطن فيها لا كبطون شيء في شيء ومع ذلك ظهوره بها أشد من ظهور كل ذي ظهور وبطونها فيها أتمّ من بطون كل محجوب ومستور.

فهو تعالى بعين الظهور بطون وبعين البطون ظهور كما صرح به سيدنا ومولانا القائم(عج) في التوقيع الخارج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد؛ فقال في ما قال: يا باطناً في ظهوره وظاهراً في بطونه ومكنونه صدق ولي الله روحي فداه.

وقال الشيخ محيي الدين في فتوحاته في الفصل الأول من أجوبة الترمذي:

وأما ما تعطيه المعرفة الذوقية فهو أن الحق ظاهر من حيث ما هو باطن وباطن من حيث ما هو ظاهر وأوّل من حيث ما هو آخر وآخر من حيث ما هو أول انتهى كلامه فهذا مقام العائذ به تعالى من قصور الإدراك فيقال:

چه نسبت خاك را با عالم پاك[1].

(١) أي: مناسبة بين التراب والعالم الأظهر الأعلى. «ما للتراب وربّ الأرباب».

نور: ولنرجع إلى المقصود الأصلي فإن الرسالة غير موضوعة لتحقيق هذه المباحث والتطويل في تلك المعارج فليعذرني إخواني عن ما خرج عنان القلم عن الاختيار فنقول.

لك أن ترتقي إلى أوج الحقيقة لفهم أسرار أهل المعرفة فاسمع لما نتلو عليك واعلم أن هذه الخلافة أيضاً خلافة في الظهور فإن الأول جلّ مجده لما أراد أن يظهر في الأكوان لرؤية نفسه وكمالات ذاته في مراتب كاملة جامعة تجلى باسمه الأعظم الأتم الذي له مقام أحديّة الجمع فأشرقت من ذلك التجلي سماوات الأرواح وأراضي الأشباح فكلّ المراتب الوجودية والحقائق النزولية والصعوديّة من تعين تجلّيه الذاتي الحاصل بالاسم الأعظم فمقام الخلافة مقام استجماع كلّ الحقائق الإلهية والأسماء المكنونة المخزونة فحيث لا حجاب في الوجود من ناحية الربّ الودود فإن الحجاب من التعينات والحدود وإذ لا تعين من ناحية عالم القدس فلا حجاب فكان ذاته بذاته ظهرت في الأشياء وعلى حد إطلاقه أشرقت الأرض والسماء ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ الذي هو الحقيقة الإطلاقية الجامعة لكل الحقائق والتعينات المشهودة والمعلومة في العالمين من ناحية عالم الكثرة وجنبة الخلقية فما أصابك من سيئة فمن نفسك فمن عرف حقيقة استهلاك الوجود المنبسط والإحاطة القيومية للذات الواجبة وعدم النسبة أية نسبة

بينها وبين الخلق وتنزهها عن كل التعينات يمكن له معرفة هذا الظهور الذاتي والتجلي الأسمائي والصفاتي فمع كون التجلي بالأسماء وفي هياكل الممكنات كان التجلي ذاتياً بلا ملابسة بأقذار التعيّنات الخلقية ومناسبة لسكّان عالم من العوالم فاعرف ولا تختلط.

نور: كما أنّ عالم الأعيان الثابتة لا وجود لها في الحضرة العلمية ولا كون لها إلاّ كون الثبوت فحقائقها أيضاً غير حاجبة عن الظهور الذاتي والتجلي الأسمائي والصفاتي فهو تعالى بلا حجاب مسدول بينه وبين خلقه ظاهر في مرآة الكلّ كما قال تعالى شأنه:

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ فأشار بلفظ هو إلى الحقيقة الغيبية المستكنة في الحضرة الأسمائية والصفاتية وقال:

الحقيقة الغيبية المقدّسة عن التلبّس بالأسماء والصفات فضلاً عن ملابسة الأكوان الزائلات بحقيقتها الشريفة ظاهر وباطن وأوّل وآخر.

فالظهور كلّ الظهور له لا ظهور لشيء من الأشياء ولا بطون لحقيقة من الحقائق بل لا حقيقة لشيء أصلاً كما في دعاء عرفة لمولانا وسيدنا أبي عبد الله الحسين روحي له الفداء:

أيكونُ لغيرك من الظهر ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، إلى آخر. صدق ولي الله.

وبهذا ينظر كلام الأحرار:

العالم خيال في خيال ومن ذاك المقام قول العارف الشيرازي:

مدعى خواست كه آيد بتماشاكه راز

دست غيب آمد وبر سينه نامحرم زد[1]

ولتكن على خُبر مما أُلقي إليك حتى لا يشتبه عليك الأمر فتزلّ قدمُك.

(١) لقد أراد المدعي ومن كان فيه الأنانية أن يدخل وراء الستر ويرى السر فظهرت اليد الغيبية وضربت على صدره كي يرجع لأنه ما كان محرماً والاطلاع على السر لغير المحرم محرم.

نور: هذا وليكن حفظ مقام العبودية والأدب لدى الحضرة الربوبيّة يقتضي أن يكون النظر إلى جهة التقديس والتنزيه أكثر بل هي أنسب بحال السالك وعن الخطرات أبعد فلا بدّ لكلّ من سلك طريق المعرفة أو دخل مدينة الحقيقة بالقدم الراسخ العلمي أن يكون في جميع الأحوال منزّهاً وفي كل المقامات مقدّساً ومسبّحاً ولهذا يكون التقديس والتنزيه في لسان الأولياء أكثر تداولاً وكانوا عليهم السلام إذا وصلوا إلى ذلك المقام صرّحوا بالقول تصريحاً لا إشارة أو تلويحاً بخلاف مقام التشبيه والتكثير فإنّه قلّ في كلمات الكُمَّل من أصحاب الوحي والتنزيل التصريح به بل كلّما وصلوا إليه رمزوا بالقول رمزاً ورفضوا التصريح به رفضاً وما وقع من الشطحيّات من بعض أصحاب المكاشفة والسلوك وأرباب الرياضة فهو لنقصان سلوكهم وبقاء الأنانية في سرّهم أو سرّ سرّهم فتجلى عليهم أنفسهم بالفرعونيّة وأما السالكون على طريق الشريعة مع رفض الأنانية بجملتها وترك العبودية لأنفسهم بُرمّتها مع طهارتها وعدم التوجّه إلى إظهار القدرة والسلطنة والفرعونية فهم في أعلى مرتبة التوحيد والتقديس وأجلّ مقامات التكثير ولم يكن التكثير حجاباً لهم عن التوحيد ولا التوحيد عن التكثير لقوّة سلوكهم وطهارة نفوسهم وعدم ظهورهم بالربوبية التي هي شأن الربّ المطلق مع أنّ هيولى عالم الإمكان مسخرّة تحت يدي الولّي يقلّبها كيف

يشاء وجاء لهم في هذا العالم الكتاب من الله العزيز الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ على ما نقل مخاطباً لأهل الجنّة من يكون مخاطباً له: من الحيّ القيوم الذي لا يموت إلى الحيّ القيوم الذي لا يموت. أمّا بعد: فإني أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون فقال ﷺ: فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء كن إلاّ ويكون.

نور: ومن ذلك المقام إباء الأنبياء المرسلين والأولياء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين عن إظهار المعجزات والكرامات التي أصولها إظهار الربوبيّة والقدرة والسلطنة والولاية في العوالم العالية والسافلة إلاّ في موارد اقتضت المصلحة لإظهارها وفيها أيضاً كانوا يصلّون ويتوجّهون إلى ربّ الأرباب بإظهار الذلة والمسكنة والعبودية ورفض الأنانية وإيكال الأمر إلى بارئه واستدعاء الإظهار عن جاعله ومنشأ علة قدرته مع أنّ تلك الربوبيّة الظاهرة بأيديهم عليهم السلام هي ربوبيّة الحق جلّ وعلا إلاّ أنهم عن إظهارها بأيديهم أيضاً يأبون.

وأمّا أصحاب الطلسمات والنيرنجات وأرباب السحر والشعبذة والرياضات التي أصولها الاتصال بعالم الجن والشياطين الكفرة وهو الملكوت السفلى الذي هو الظلّ الظلماني لعالم الملك مقابل الظل النوراني الذي هو الملكوت العليا عالم الملائكة تراهم لا زال في مقام إظهار سلطنتهم وإبراز تصرفهم لفرط العشق بأنانيتهم وزيادة الشوق بحيثيّة نفوسهم فهم عباد أصنام النفس وتابعي الجبت والطاغوت غافلون عن رب العالمين وأنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين.

نور: إذ صعدت تلك الذروة العالية وعرجت بروحك إلى أوج هذه الحقيقة النوريّة وعرفت حقيقة ما تلونا عليك من الظهور الذاتي يمكن لك فهم الحقائق ويفتح عليك بعض أبواب الرموز والدقائق.

منها: سرّ قول الحكماء السالفين والفلاسفة السابقين: إنّ الباري جلت عظمته يعلم الجزئيات على الوجه الكلي فإن الجنبة العالية من كلّ حقيقة على حدّ الإطلاق والصرافة الفعلية والمحوضة الكلية، والتشخّصات المشهودة والعيّنات المعلومة من الجنبة السافلة الخلقة ومن عالم الفرق لا الجمع.

ومنها: سرّ القدر في النشأة العينية الذي حارت العقول فيه وتشتتت آراء الفلاسفة لديه وأمّا القدر العلمي فقد عرفت سالفاً رجوعه إلى عالم الأعيان.

ومنها: سرّ قول فرقوريوس الذي هو من أعاظم الحكماء في علم الباري من جعل مناط علمه تعالى اتّحاده بالمعلومات.

ومنها: وجه صحة رأي الشيخ المقتول ومقدّم إشراقية الإسلام في علم الباري وجعل العلم على مشربه ذاتياً مقدّماً على الأشياء وإن كان بوجه فعلياً هو الأشياء. إلى غير ذلك من الأسرار التي يضيق المجال عن ذكرها والغور في تحقيقها.

نور: إنّ النبوّة في ذلك المقام الشامخ هي إظهار الحقائق الإلهية والأسماء والصفات الربوبية في النشأة العينية طبقاً للإنباء الحقيقية الغيبية في النشأة العلمية ومن ذاك المقام أعطي كلّ ذي حق حقّه بإكمال المستعدّين وإيصال القابلين إلى كمالاتها اللائقة والمترقبة فإن مقام الرحمانية التي هي مقام بسط الوجود ومقام الرحيمية التي هي مقام بسط كمال الوجود من ذاك المقام وهو أحدّية جمعهما ولهذا جعل الرحمن الرحيم تابعين لاسم الله في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾.

وقال الشيخ العربي في فتوحاته: ظهر العالم ببسم الله الرحمن الرحيم انتهى.

وهو الرسول على سكّان عالم الغيب والشهادة والناطق بالحق عن مقام الجمع على قطّان سكنة الملك والملكوت.

نور: أول من آمن بهذا الرسول الغيبي والولي الحقيقي هو سكّان السكنة الجبروت من الأنوار القاهرة النورية والأقلام الإلهية العالية فهي أول ظهور بسط الفيض ومدّ الظل كما قال النبيﷺ: أوّل ما خلق الله نوري أو روحي.

ثمّ على الترتيب النزولي من العالي إلى السافل ومن الصاعد إلى النازل

حتى انتهى الأمر إلى عالم المادة والماديّات وسكّان أراضي السافلات بلا تعصٍّ ولا استنكار (ولا استكبار).

وهذا أحد معاني قوله ﷺ: آدم ومن دونه تحت لوائي وأحد معاني عرض الولاية على جميع الموجودات.

وأمّا عدم قبول بعضها كما في الخبر فمبنيٌّ على نقصان القابلية والاستعداد من قبول الكمال لا عدم القبول مطلقاً حتى في مقام الوجود بل في كماله.

وبعبارة أخرى قبول مقام الرحمانية وعدم قبول مقام الرحيمية وإلاّ فكلّ موجود على مقدار سعة وجوده وقابليته قبل الولاية والخلافة الباطنيين وهما نافذان في أقطار السماوات والأرضين كما نطقت به الأحاديث الشريفة.

نور: لعلّ الأمانة المعروضة على السماوات والأرض والجبال التي أبَيْنَ عن حملها وحملها الإنسان الظلوم الجهول هي هذا المقام الإطلاقي فإن السماوات والأرضين وما فيهن محدودات مقيدات حتى الأرواح الكلية ومن شأن المقيّد أن يأبى عن الحقيقة الإطلاقية. والأمانة هي ظلّ الله المطلق وظلّ المطلق مطلق يأبى كل متعين عن حملها وأمّا الإنسان بمقام الظلوميّة التي هي التجاوز عن قاطبة الحدودات والتخطي عن كافّة التعيّنات واللاّمقامي المشار إليه بقوله تعالى شأنه على ما قيل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ والجهولية التي هي الفناء عن الفناء قابل لحملها فحملها بحقيقتها الإطلاقية حين وصوله إلى مقام قاب قوسين وتفكّر في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ واطف السراج فقد طلع الصبح.

نور: اعلم هداك الله طريق الصواب أنّ هذا المقام أي الظهور بمقام النبوة في النشأة العينية وإظهار الحقائق الغيبية والأسماء الإلهية طبقاً لصور الأسماء في النشأة العلمية والأعيان الثابتة هو النبوة للإنسان الكامل أي الحقيقة المحمدية في النشأة الثانية بل في الحضرة الثالثة لمكان اتّحاد الظاهر والمظهر خصوصاً المظهر الأتم الإطلاقي الذي لا تعين ولا نفسيّة له فالمقام الأول هو الإنباء بالحقيقة الجمعية والاسم الأعظم أحدية جمع الأسماء عن لسان غيب الغيوب للحضرات الأسمائية وفي مقام الواحدية فالمقام الثاني هو الإنباء بالمظهر الأتم والمجلي الأعظم أي العين الثابتة الإنسانية عن لسان الحقيقة الجمعية أي الاسم الأعظم بل عن لسان الغيب أيضاً لعدم الحجاب أصلاً لصور الأسماء الإلهية أي الأعيان الثابتة ومقامنا هذا أي ثالث المقامات الذي كلامنا فيه هو الإنباء بالمظهر الأتم في النشأة العينية أم الحقيقة الإنسانية في عالم الأمر عن لسان العين الثابتة حقيقتها العلمية بل عن الاسم الأعظم بل عن مقام الغيب لما عرفت.

نور: قال شيخ مشايخنا آقا محمد رضا القمشه (قدس سره) في تعليقه على مقدمات شرح فصوص الحكم بعد قياسه الأعيان الثابتة في الأسماء الإلهية بالماهيّة والوجود وإنّ الماهيّة كما تكون تعين الوجود والأشياء منسوبة إليها إلاّ الله لأن الشيء يفعل بتعينه كذلك الأعيان تعين الأسماء والعالم منسوب إلى العين الثابتة للإنسان الكامل ما هذا كلامه الشريف.

نقد وتلخيص: الأعيان الثابتة تعيّنات الأسماء الإلهية والتعين عين المتعين في العين وغيره في العقل كما أنّ الماهية عين الوجود في الخارج وغيره في العقل فالأعيان الثابتة عين الأسماء الإلهية تجلّيات لاسم الله باعتبار وأجزائه باعتبار آخر والاعتباران كونه اسم الذات باعتبار الصفات وكونه اسم الذات مع الصفات فالأعيان الثابتة تجلّيات لاسم الله باعتبار وأجزائه باعتبار تجلّيات للحقيقة الإنسانية باعتبار وأجزائها باعتبار لأن الحقيقة الإنسانية عين ذلك الاسم لاتّحاد التعين والمتعين فالعين الثابتة الأحمدية التي هي الحقيقة الإنسانية وهي الحقيقة المحمّدية هي المتجلّية في صورة الأسماء والأعيان في عالم الأسماء والأعيان الثابتة والعالم بمعنى ما سوى الله هو صور الأسماء ومظهرها فهو صورة الخليفة الإنسانية ومظهرها لأنّا قلنا إنّ الأسماء والأعيان تجلّيات تلك الحقيقة باعتبار وأجزائها باعتبار وصورتها صورة تلك الحقيقة ومظهرها فالحقيقة المحمّدية

هي التّي تجلت في صورة العالم والعالم من الذرّة وإلى الدرّة ظهورها وتجلّيها ثم قال (قدس سره) العزيز.

فإن قلت: إذا كان اسم الله والعين الثابتة المحمّدية متحدين في العين فلم أسند العالم إلى تلك العين ولم يسند إلى ذلك الاسم أقول: العين الثابتة تعين ذلك الاسم والشيء الحق المبين انتهى كلامه زيد في الروحانيين مقامه.

نور: قد عرفت بما كشفنا الغطاء عن بصرك وصار اليوم حديداً أنّ ثبوت الأعيان الثابتة في العلم الإلهي بوجه كثبوت الأنوار الناقصة في النور التام والعقل التفصيلي في العقل البسيط الإجمالي وحيث لا حجاب في الأعيان والأسماء كلما نسب إلى العين الثابتة نسب إلى الذات المقدسة والأسماء والصفات الإلهية فالتجلّيات مع كونها في لباس الأسماء والصفات وكسوة الأعيان ذاتية فالقياس بالماهية والوجود مع كونه مع الفارق ليس الأمر في المقيس عليه على ما أفاد (قدس سره) عند أرباب البصيرة وأصحاب الذوق والسلوك فإن انتساب الآثار إلى الماهية إما بنظر الوحدة في الكثرة وإنّ الوجود مع تنزّهه عن التعينات ظاهر فيها وهو الأشياء كلّها وإمّا بنظر أصحاب الفلسفة الرسميّة من كون العالم أي الكليات الطبيعية موجوداً لا المشرب العرفاني فإنّه عند الأحرار خيال في خيال.

وبالجملة إن أراد بقوله إن الشيء يفعل بتعيّنه أنه لا يفعل ذاته بذاته بلا التعين الأسمى والصفتي أو في كسوة الأعيان فهو حق كما عرفت تحقيقه لكنه لا يوجب نفي الانتساب إلى المتعين بل الفعل منسوب إلى المتعيّن حقيقة لا التعين وإن أراد أن العين فاعل فلا وجه صحيح له وإن أراد أنه آلة للمتعين فمع كونه خلاف التحقيق لا يوجب نفي الانتساب أيضاً والتحقيق

الحقيق بالتصديق ما عرفت في طيّ الأنوار الإلهية أن الذات في كسوة التعينات الأسمائية تتجلى على الأعيان الثابتة وفي كسوتها تتجلى على الأعيان الخارجية.

ولكن لعدم الحجاب وصفاء المرآة كان التجلّي ذاتياً لا شريك له تعالى في إلهيته وهذا أحد معاني الحديث منقول بمعناه واللفظ ليس كذلك الوارد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام إن التوحيد الحقيقي بإيقاع الاسم على المسمى وإلا فعبادة الاسم كفر وعبادة الاسم والمسمى شرك[1] صدق ولي الله وفي كلامه (قدس سره) نظر آخر نتركه مخافة التطويل والآن نختم هذا المصباح ونشرع في طور آخر من الكلام بعون الملك العلام وبه نستعين في البدو والختام.

(١) أقول: لفظ الحديث كما في التوحيد عن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله عز وجل واشتقاقها فقال: الله مشتق من أله واله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمّى فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد الاسم والمسمى فقد أشرك وعبد الاثنين ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال من عبد الله بالتوهم فقد كفر ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى فقد كفر ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وفي حديث آخر: هم المؤمنون حقاً: الفهري.

المصباح الثاني: فيما ينكشف لك من سرّ الخلافة والنبوّة والولاية في النشأة الغيبية والأنوار العقلية الإلهية وفيه حقائق إيمانية تطلع من مطالع نورانية لعلّك تتدرج بها إلى الكمالات الإنسانية.

مطلع: اعلم هداك الله إلى حق اليقين وجعلك منخرطاً في سلك الروحانيين أنّ الحقيقة العقلية الثابتة بالبراهين العقلية المتقنة على ما فصّلها الفلاسفة الكاملون وأرمز إليها الإلهيون الأقدمون وأشارت إلها المسفورات الإلهية والصحف السماوية وألقى الحجاب عنها الآثار النبوية والولاية هي التعين الأول لحضرة المشيئة المطلقة التي قد عرفت مقامها ومنزلتها من أحدية الجمع والبرهان عليه سوى ما ذكر في المفصلات من مسفورات أرباب الفلسفة ما ألقى في روعي بلا روّية حين بلوغي إلى هذا المقام من الرسالة.

وهو أنّ الحقيقة الغير المتعينة أية حقيقة كانت إذا صارت متعينة بالتعينات المتشتة اللاحقة لها لا يتعين بشيء منها لا بما هو أسبق رتبة وأقدم مرتبة وذاتاً أو بما هو أقدم زماناً إن كانت من الزمانيات وبالجملة يتعين ويتصور الحقيقة الغير المتعينة والمتصورة بالتعين الأسبق والصورة الأقدم، والماهية أينما حلت تتقدّم على لواحقها وأعراضها من التعلقات الملكوتية وتقدراتها ولواحقها المادية كما أن أصل التقدر والتعلق متقدمان على لواحقها الآخر فتصور الحقيقة أولاً بالمهية ثم غيرها من اللواحق الأسبق فالأسبق.

وعند التفتيش التام والتفحص الكامل عن حال مراتب الوجود وعالم

النزول والصعود لا نرى فيها ما تعين بالماهية فقط إلا الحقيقة العقلية لا غير وأما سائر الموجودات من أيّ عالم كان له تعين زائد على تعين الماهية فيجب أن يكون متأخراً عنها وهي مقدمة عليها تقدّماً دهرياً كما أنّ تقدّم الحقيقة الغير المتعينة على المتعينات يكون تقدّماً بالحقيقة بل تقدّماً حقانياً أزلياً ولا تظنن أن تلك اللواحق أي التقدر والتعلق الملكوتي والانغمار في المادة والكون تحت سلطان الزمان والتدريج كانت من لواحق الوجود وأعراضه لا الماهية لانفكاكها عنها في التعقل والتعمّل العقلي فإذن ذلك ظنّ فاسد وخيال باطل لأنّ سنخ ذات الملكوت هو التعلق والتقدّر وسنخ ذات الملك هو الإشارة بالمادة ولواحقها لا يمكن انفكاكها ذاتاً وتعقلاً خارجاً وذهناً ولهذا حُدّدت النفس بأنها كمال أوّل لجسم طبيعي آلي وصار علم النفس من الطبيعيات وقد أقام شيخ العرفاء الكاملين وأعظم الفلاسفة المعظمين صدر الحكماء والمتألهين قدسه الله نفسه الشريفة البرهان على أن نفسية النفس في ابتداء نشأتها ليست من العوارض اللاحقة بذاتها لازمة كانت أو مفارقة كذلك أسر الصور الملكية بالمادة ولواحقها ذاتاً مما قام البرهان عليه ولولا مخافة التطويل لذكرنا ما يفيدك الاطمئنان واليقين إلا أن الرسالة غير موضوعة لتحقيق تلك المباحث.

ولا تتوهمن أن ذلك ينافي خلاص الصور الملكية والحقائق الملكوتية إلى عالم النور فإن ذلك أيضاً ثابت عندنا بلا تناقض في المقال تدبّر تجد.

هذا بحسب القوس النزولي وبهذا البيان يمكن إقامة البرهان على ترتيب الوجود وتنسقيها بحسب القوس الصعودي أيضاً فإن مبدأ حصول الصور والترقي والتوجه من الكثرة إلى الوحدة ومن النزول إلى الصعود هي

الهيولى الأولى التي لا تتصور بصورة ذاتاً ولا تتعين بتعين جوهراً فتعينت بالتعينات سابقاً فسابقاً فتصوّرت أولاً بالصورة الجسمية المطلقة ثم العنصرية ثم المعدنية إلى أن ينخرط في سلك الروحانيين ويتصل الآخر بالأول ويرجع الأمر من حيث بدأ ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

مطلع: إنّ الأحاديث الواردة عن أصحاب الوحي والتنزيل في بدء خلقهم عليهم السلام وطينة أرواحهم وأنّ أوّل الخلق روح رسول الله وعليّ (صلى الله عليهما وآلهما) أو أرواحهم إشارة إلى تعين روحانيتهم التي هي المشيئة المطلقة والرحمة الواسعة تعيّناً عقليّاً لأنه أوّل الظهور هو أرواحهم عليهم السلام والتعبير بالخلق لا يناسب ذلك فإن مقام المشيئة لم يكن من الخلق في شيء بل هو الأمر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ وأن يطلق عليه الخلق أيضاً كما ورد منهم «خلق الله الأشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها» وهذا الحديث الشريف أيضاً من الأدلة على كون المشيئة المطلقة فوق التعينات الخلقية من العقل وما دونه ونحن نذكر رواية دالّة على تمام المقصود الذي أقمنا البرهان الذوقي عليه بحمد الله تيمناً بذكره وتبرّكاً به.

في الكافي الشريف عن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عمر ابن علي بن أبي طالب عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله كان إذ لا كان وخلق الكان والمكان وخلق الأنوار وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمَّداً وعلياً فلم يزالا نورين أوّلين إذ لا شيء كُوّن قبلهما فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرين حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب. صدق ولي الله صلوات الله عليه.

ولسنا بصدد شرح الحديث الشريف فإن شرحه مع عدم كونه في عهدة مثلي، طويل الذيل ولكن نشير إلى بعض إشاراته التي تشير إلى مقصودنا فنقول وبالله التوفيق:

لعلّ قوله عليه السلام كان إذ لا كان. إشارة إلى تقدّمه تعالى شأنه بالحقيقة على الموجودات والآن كما كان كما قال جنيد البغدادي حين سمع كان الله ولم يكن معه شيء: الآن كما كان.

وفي توحيد صدوق الطائفة: إن الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان.

وقوله فخلق المكان إلى قوله منه الأنوار إشارة إلى ترتيب أمّهات مراتب الوجود من النازل إلى الصاعد فإن الكان والمكان هو الكائنات والمكانيات الطبيعية والأجرام السماوية والأرضية أو مطلق ما ظهر في عالم الطبيعة وكان طالعاً عن بحر الهيولى المظلمة حتى يشمل النفس التي هي بذاتها من عالم الأنوار ولكنها طالعة عن مطلع المادة ظاهرة في الكائنات النازلة.

والأنوار هي العالم العقلي بقضّها وقضيضها أو هو مع عالم النفسي باعتبار أصل حقيقتهما التي هي الأنوار.

ونور الأنوار هو الفيض المنبسط والوجود المطلق الذي منه الحقائق العقلية وغيرها والعوالم الصاعدة والنازلة وتخصيص خلق الأنوار منه بالذكر مع أن جميع مراتب الوجود منه للتناسب الواقع بينهما أو لكون العقل أول ظهور المشيئة المطلقة أو لأن صدور الكائنات لا يحتاج إلى

الذكر بعد ذكر صدور الأنوار منه فإن صدور الأنوار إذ كان من شيء كان صدور غير الأنوار منه أيضاً بحسب ترتيب سلسلة الوجود وقوسي النزول والصعود.

والضمير المجرور في قوله وأجرى فيه. إما راجع إلى الأنوار إشارة إلى أنّ المقيدات التي هي الأنوار عين المطلق الذي هو نور الأنوار فعلى هذا يكاد المراد من نور الأنوار هو العقل المجرد الأول ومن الأنوار النفوس الكلية أو هي مع سائر العقول غير العقل الأول ويكون المراد من نوره الذي نورت منه الأنوار هو الفيض المنبسط وهذا يناسب العبارة من جهتين.

الأولى: نسبة الخلق إلى نور الأنوار وقد عرفت مراراً أنه من عالم الأمر لا الخلق وإن أُضيف إليه أحياناً كما في الحديث الشريف المتقدم ذكره.

الثانية: إضافة النور إلى ذاته تعالى في قوله وأجرى فيه من نوره فإنها إشارة إلى اتحاد الظاهر والمظهر وإن جاز إضافة نور سائر الأنوار إلى ذاته تعالى أيضاً باعتبار لكن الأنسب ذلك.

وإياك وأن تفهم من الإجراء ما هو المتفاهم العرفي منه كجريان النور الحسي في المستنير هو بمعنى الظهور والإحاطة القيّومية كما لا يكون النور هو النور الحسّي.

وقوله عليه السلام وهو النور الذي خلق منه محمّداً وعليّاً أي من نور الأنوار الذي هو الوجود المنبسط الذي قد عرفت أنه الحقيقة المحمّدية

والعلويّة بنحو الوحدة واللاّتعين خلق نورهما المقدّس وهذا صريح فيما ذكرنا فتفكّر فيه حتى تنفتح عليك الأسرار.

وقوله عليه السلام: فلم يزالا نورين أوّلين إذ لا شيء كُوّن قبلهما يعني به أنّ نورهما المقدس المنشأ من نوره هو العقل المجرد المقدم على العالم الكون.

وقوله عليه السلام فلم يزالا إلى آخره إشارة إلى ظهوره في العوالم النازلة من صلب الجبروت إلى بطن عالم الملكوت العلياء ومن صلبه إلى بطن عالم الملكوت السفلي ومن صلبه إلى بطن عالم الملك ثم ظهر في خلاصة العوالم ونسختها الجامعة أي الإنسان الذي هو أبو البشر وانتقل منه إلى أن افترق في أطهر طاهرين عبد الله وأبي طالب عليهما السلام والسرّ في التعبير عن كل عالم صاعد بالنسبة إلى الهابط منه بالصلب وعن كل عالم نازل بالنسبة إلى الصاعد منه بالبطن ظاهر لا يحتاج إلى التفصيل.

مطلع: هل بلغك اختلاف ظاهر كلمات الحكماء المتألهين والفلاسفة الأقدمين كمفيد الصناعة ومعلمها ومن يتلوه من المحققين مع كلمات العرفاء الشامخين والمشايخ العارفين في كيفية الصدور وتعيين أوّل ما صدر من المبدأ الأول؟.

قال في الميمر العاشر من أثولوجيا: فإن قال قائل كيف يمكن أن تكون الأشياء من الواحد المبسوط الذي ليس فيه هويّة ولا كثرة بجهة من الجهات قلنا لأنه واحد محض مبسوط ليس فيه شيء من الأشياء فلما كان واحداً محضاً انبجست منه الأشياء كلها وذلك أنه لما لم يكن له هوية ابنجست منه الهوية.

وأقول وأختصر القول أنه لما لم يكن شيئاً من الأشياء رأيت الأشياء كلها منه غير أنه وإن كانت الأشياء كلها إنما انبجست منه فإن الهوية الأولى أعني بها هويّة العقل هي التي انبجست منه أوّلاً بلا وسط ثم انبجست منه جميع هويّات الأشياء التي في العالم الأعلى والعالم الأسفل بتوسط هويّة العقل والعالم العقلي انتهى كلامه.

ثم شرع في البرهان على مطلبه وليس لنا الحاجة إليه وإليه يرجع كلام سائر المحققين كرئيس فلاسفة الإسلام في الشفا وغيره من مسفوراته والشيخ المقتول وغيرهما من أساطين الحكمة وأئمة الفلسفة.

وقالت الطائفة الثانية إن أول ما صدر منه تعالى وظهر عن حضرة الجمع هو الوجود العام المنبسط على هياكل الموجودات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

قال الشيخ صدر الدين القونوي خليفة الشيخ الكبير محيي الدين في نصوصه:

والحق سبحانه من حيث وحدة وجوده لم يصدر عنه إلاّ واحداً لاستحالة إظهار الواحد وإيجاده من حيث كونه واحداً ما هو أكثر من واحد لكن ذلك الواحد عندنا هو الوجود العام المفاض على الأعيان المكونات وما وجد منها وما لم يوجد فما سبق العلم بوجوده وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلى الذي هو أول موجود المسمّى أيضاً بالعقل الأول وبين سائر الموجودات ليس كما يذكره أهل النظر من الفلاسفة. انتهى كلامه.

وقال بمثل المقالة في مفتاح الغيب والوجود وقال كمال الدين عبد الرزاق القاساني في اصطلاحاته:

التجلّي الشهودي هو ظهور الوجود المسمى باسم النور وهو ظهور الحق بصور أسمائه في الأكوان التي هي مظاهرها وذلك الظهور هو النفس الرحمان الذي يوجد به الكلّ. انتهى.

مطلع: قد حان حين أداء ما فرض علينا بحكم الجامعة العلمية والعرفانية والأخوّة الإيمانية بإلقاء الحجاب عن وجه مطلوبهم بحيث يرتفع الخلاف من البين ويقع إصلاح ذات البين فإن طور العرفان وإن كان طوراً وراء العقل إلاّ أنه لا يخالف العقل الصريح والبرهان الفصيح حاشا المشاهدات الذوقية أن تخالف البرهان والبراهين العقلية أن تقام على خلاف شهود أصحاب العرفان فنقول:

اعلم أيّها الأخ الأعزّ أنّ الحكماء الشامخين والفلاسفة المعظّمين لما كان نظرهم إلى الكثرة وحفظ مراتب الوجود من عوامل الغيب والشهود وترتيب الأسباب والمسببات والعوالم الصاعدات والنازلات لا جرم يحق لهم أن يقولوا بصدور العقل المجرد أوّلاً ثُمَّ النفس إلى أخيرة مراتب الكثرات فإن مقام المشيئة المطلقة لا كثرة فيه وإنما هي تتحقق في المرتبة التالية منه وهي تعيّناته فالمشيئة لاندكاكها في الذات الأحدية واستهلاكها في الذات السرمدية لم يكن لها حكم حتى يقال في حقّها إنّها صادرة أو غير صادرة.

وأمّا العرفاء الشامخون والأولياء المهاجرون لما كان نظرهم إلى الوحدة وعدم شهود الكثرة لم ينظروا إلى تعينات العوالم ملكها وملكوتها ناسوتها أو جبروتها ويروا أنّ تعينات الوجود المطلق المعبّر عنها بالماهيّات

والعوالم أيّة عوالم كانت اعتبار وخيال ولذا قيل العالم عند الأحرار خيال في خيال.

وقال الشيخ الكبير محيي الدين: العالم غيب ما ظهر قط والحق ظاهر ما غاب قط انتهى، فما كان في دار التحقق والوجود ومحفل الغيب والشهود، إلا الحق ظاهراً وباطناً أولاً وآخراً وما وراءه من تلبيسات الوهم واختراعات الخيال.

مطلع: بل نرجع ونقول: إنّ كلام المحقّق القونوي أيضاً ليس عند العرفاء الكاملين بشيءٍ بل ما تُوهم أنهّ من كلمات الأولياء الشامخين عندهم فاسد وفي سوق أهل المعرفة كاسد فإن الصدور لا بدّ له من مصدر وصادر ويتقوّم بالغيرية والسوائية وهي مخالفة بطريقة أصحاب العرفان وغير مناسبة لذوق أرباب الأيقان ولذا تراهم يُعبّرون عن ذلك حيث يُعبّرون بالظهور والتجلّي أمن وراء الحق شيء؟ حتى ينسب الصدور إليه بل هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن قال مولانا أبو عبد الله الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: ألغيرك من الظهور ما ليس لك، صدق وليّ الله روحي له الفداء فالعالم بجهته السوائية ما ظهر قطّ والكلّي الطبيعي غير موجود في نظر أهل الحق وبغيرها هو اسمه الظاهر.

مطلع : هذا حكم من غلب عليه سلطان الوحدة وتجلّى الحق بالقهر على جبل إنيّته وجعله دكّاً دكّاً وظهر عليه بالوحدة التامّة والمالكية العظمى كما يتجلّى بذلك عند القيمة الكبرى وأما الذي يشاهد الكثرة بلا احتجاب عن الوحدة ويرى الوحدة بلا غفلة عن الكثرة يعطي كلّ ذي حقّ حقّه فهو مظهر الحكم العدل الذي لا يتجاوز عن الحدّ وليس بظلاّم للعبد فحكم تارة بأن الكثرة متحققة وتارة بأن الكثرة هي ظهور الوحدة كما قال المتحقق بالبرزخية الكبرى والفقير الكل على المولى والمرتقى بقاب قوسين أو أدنى المصطفى المرتضى المجتبى بلسان أحد الأئمة : لنا مع الله حالات هو هو ونحن نحن وهو نحن ونحن هو. وكلمات أهل المعرفة خصوصاً الشيخ الكبير محيي الدين مشحونة بأمثال ذلك مثل قوله : الحق خلق والخلق حق والحق حق والخلق خلق وقال في فصوصه ومن عرفه ما قرّرناه في الأعداد وأن نفيها عين ثبتها علم أن الحق المنزّه هو الحق المشيئة وإن كان قد تميّز الخلق من الخالق فالأمر الخالق المخلوق والأمر المخلوق الخالق إلى أن قال.

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا ... وليس خلقاً بذاك الوجه فادّكروا
من يدر ما قلتُ لم تخذل بصيرته ... وليس يدريه إلاّ من له البصر
جمع وفرق فإن العين واحدة ... وهي الكثيرة لا تُبقى ولا تذر

وقد خرج الكلام عن طور هذه الرسالة فلنطوي الكلام ونصرف العنان إلى أصل المرام.

مطلع: اعلم هداك الله إلى جبروته وأراك بلطفه طُرُق ملكوته أنّ هذه الحقيقة العقلية التي عرفت شأنها لكونها في غاية التجرّد عن تباعد المكان والمكانيّات وكمال التنزه عن تغيّر الزمان والزمانيات واندكاك ماهيّتها في إنيتها وقهر نور وجودها على ظلمة ماهيّتها بل التجرد عن حقيقتها ونفسيّتها تحيط بعوالم الغيب والشهادة إحاطة المشيئة عليها وعلى غيرها وتسري فيها سريان الحقيقة في الرقيقة بل هي حقيقة العوالم وهذا ظلّها وهي الروح والباقي قواها وجسمها.

وبالجملة هي جهة وحدة العالم والعالم جهة كثرتها بل هي العالم في صورة الوحدة والعالم هو العقل في صورة الكثرة.

قال الشيخ الكامل العارف القاضي سعيد القمي في جملة من كتبه ورسائله إنّ النفس عقل بالعرض ونفس بالذات وفي شرحه لتوحيد صدوق الطائفة: امتثل العقل أي الأمر لتصوير المادة انتهى. وهو (قدس سره) وإن قصر ذلك أي تصوير العقل بصورة النفس فقط ليكن العلم بمراتب الوجود وملكوت الغيب والشهود يعطي ما ذكرنا من تصويره بصورة الجسم أيضاً وهذا مراد الأقدمين كأفلاطون الإلهي ومفيد المشائين أرسطاطاليس في أثولوجيا من هبوط النفس إلى العالم السفلي أنّ البرهان يعطي حدوثها من المادة. وما ذكره ذلك العارف القمي(قدس سره) مأخوذ من كلمات الأقدمين كهذا الفيلسوف

العظيم فإنه قال في الميمر الأول في اثولوجيا من أن النفس إنما هو عقل تصور بصورة الشوق ومما يؤدّي ما ذكرنا أتمّ تأدية قوله في ذلك الميمر أيضاً أنّها أي النفس لما اشتاقت إلى السلوك وإلى أن تظهر أفاعيلها تحركت من العالم الأول أولاً ثم إلى العالم الثاني ثمّ إلى العالم الثالث غير أنها وإن تحرّكت وسلكت من عالمها إلى أن تأتي العالم الثالث فإن العقل لم يفارقها وبه فعلت ما فعلت انتهى، وفي كلماته الشريفة ما يفيد مقصودنا ويشير إلى مطلوبنا فوق حدّ الإحصاء خصوصاً في الميمر العاشر في باب نوادره فمن أراد فليرجع إلى ذلك الكتاب الشريف لكن بعد الفحص الكامل عن مرموزات القوم والرجوع إلى أهله فإنّ لكل علم أهلاً وإيّاك والرجوع إليه وإلى مثله بأنانيّتك ونفسيتك فإنّه لا يفيدك شيئاً بل لا يزيدك إلاّ حيرةً وضلالة ألا ترى أنّ الشيخ الرئيس أبا علي بن سينا يقول: إنّي ما قرأت على الأستاذ من الطبيعيّات والرياضيّات والطب إلاّ شيئاً يسيراً وتكلّفت بنفسي على حلّها في مدرة يسيرة بلا تكلّف وظفرت على حلّها بغير تعسّف وأمّا الإلهيات فما فهمتُ منها شيئاً إلاّ بعد الرياضيات والتوسّل إلى مبدأ الحاجات والتضرّع الجبلي إلى قاضي السؤالات حتّى أنّ في مسألة واحدة منها راجعتُ أربعين دفعة فما فهمتُ منها شيئاً حتى آيستُ من حلّ ذلك العلم إلى أن انكشف لي بالرجوع إلى مبدأ الكل والتدّلي إلى بارئ القلّ والجلّ مع أن خطاياه في ذلك العلم الأعلى أكثر كثير كما يظهر بالمراجعة إلى كتبه فإذا كان هذا حال الشيخ الرئيس النابغة الكبرى والأعجوبة العظمى الذي لم يكن له في حدّة الذهن وجودة القريحة كفواً أحد فكيف بغيره من متعارف الناس وهذه نصيحة مني إلى إخواني المؤمنين لئلا يهلكوا من حيث لا يعلمون.

مطلع: إحاطة العقل المجرّد على ما دونه من الملك والملكوت ولم يكن كإحاطة شيء محسوس بشيء محسوس حيث يكون الإحاطة فيه ببعض الجوانب والنهايات ولا يحيط بعضها ببعض إلاّ ببعض السطوح الخارجة عن الذات بل إحاطته من جميع الجوانب يحيط بباطن المحاط كما يحيط بظاهره فإن إحاطته يكون بنحو السريان والنفوذ فهو سار في حقائق العوالم وذواتها ولبّ الحقائق وإنيّاتها لا يشذّ عن إحاطته الوجودية وسريانه المعنوي ذرّة في السماء والأرض من جواهرها وعوارضها الذاتية والمفارقة وهو أقرب إليها من حبل الوريد وأنفذ فيها من الأرواح في الأبدان بل حضور العوالم عنده أشدّ وأعلى من حضورها عند أنفسها كلّ ذلك لأن المادة التي هي مناط الغيرية والتباعد عنه مفقودة والماهية التي هي أصل السوائية فيه مستهلكة مضمحلّة لا حكم لها أصلاً بل الحكم للوجود المطلق وهو القاهر عليها والحاكم على كل إنيّة وحقيقة وإشارة إلى هذه الإحاطة الوجودية والسريان الذاتي قال معلّم المشائين إنّ الحقائق البسيطة تقتضي بذاتها استدارة حقيقة تامّة إلا أنّ المحيط فيها لا يحوي المركز كما أنّ الأمر في الدوائر الحسّية كذلك بل الأمر في الدوائر العقلية بعكس الدوائر الحسّيّة ونحن قد أشرنا إلى لمعة من التحقيق لهذا السّر في المشكاة الأولى.

مطلع : إن الحقيقة العقلية التامّة المجرّدة حاكمة على ما سواها من الحقائق العقلية والنفوس الكلّية والجزئيّة الملكوتية والبدعيّات والكائنات الملكية الناسوتية ترشدها إلى طرق الهداية والاستقامة والكمال ويسوقها إلى بارئها المتعال وتقودها إلى فناء الربّ ذي الجلال ولولاها لما عُبِدَ الله وما وُحِّد وما أُطيع وما سُجِد فالعقل هو الذي أرسله الله إلى سُكّان جميع العوالم ليهديها إلى سواء الصراط فقال له أقبل إلى المسجونين في ظلمات العوالم الخلقية من عالمك الأمري فأرشدهم إلى دار السرور وعالم يغلو فيه النور على نور فظهر في كلّ حقيقة بقدر الاستعداد إطاعة لأمر ربّ العباد فهداهم إلى عالم الأسرار ودعاهم إلى محفل الأُنس ودار القرار ثم بعد الإرشاد والهداية أمرهُ بالرجوع بجميع مظاهره من عالم الدنيا إلى الغاية القصوى والرفيق الأعلى فقال له أدبر فأدبر وهذه الحقيقة هي التي أعطاها الله تعالى الجنود في بعض المظاهر المناسبة من عالم القدس لتقاوم جنود الشيطان وتغلب عليها وتقود الخلق إلى حزب الرحمن وأودعت فيها من حقائق عالم الغيب الإلهي ليجذب من هو لائق الجذبة الرحمانية.

مطلع : فإذا انفتحت بصيرتك بما أُلقي عليك من الأُصول وانكشف الأمر لديك في ضمن القواعد والفصول يمكن لك أن ترتقي بقدم المعرفة إلى أوج الحقيقة فتعرف بعض ما أرمز في رواية الكافي الشريف عن مولانا أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

لما خلق الله العقل استنطقه قال هل أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثمّ قال وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليَّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أُحبّ أما إنيّ إيّاك آمر وإياك أنهى وإيّاك أثيب وإيّاك أُعاقب. صدق ولي الله تعالى.

وقد شرحه المحققون الكاملون (رضي الله عنهم) ولكن لما لم يُشيروا قدّس الله أنفسهم إلى بعد أسراره فنحن نشير إليه مع قلة الباع ونقصان الاطلاع كيف وعطاياهم لا يحملها إلاّ مطاياهم وليس لمثلي هذا المحلّ الأعلى والمنزل الأبهى الأسنى فنقول.

قوله عليه السلام : استنطقه أي جعله ذا نطق وإدراك بنفس جعل ذاته فإن العلم والإدراك في المبادئ العالية ولاسيما العقل الذي هو أول التعينات عين ذاتها وهذا بوجه نظير قوله تعالى وعلّم آدم الأسماء كلها فإن التعليم في ذلك المقام بإيداع صور الأسماء والصفات بنحو اللّفّ والإجمال وأحدية الجمع فيه لا أنّه خلقه مجرّداً عن العلم بالأسماء ثمّ علّمها إيّاه فإن

الإنسان مظهر اسم الله الأعظم الجامع لجميع مراتب الأسماء والصفات بنحو أحدية الجمع والعقل أيضاً مظهر علم الحق فهو عالم في مرتبة هويّته ولبّ حقيقته.

وقوله: أقبل أمرٌ من حضرة الجمع إلى المظهر الأول بظهوره في جميع مراتب التعينات من عالم الملك والملكوت فهو النافذ في جميع العوالم بأمر بارِئه ليظهر الكمالات التي في عالم الأسماء والصفات وينشر الخيرات في مراتب الكائنات ويهديهم إلى الصراط المستقيم ويرشدهم إلى الطريق القويم.

وقوله عليه السلام: أدبر من عالم التفصيل إلى حضرة الجمع بجميع المظاهر إلى الاسم المناسب لمقامك ومقام مظاهرك إمّا إلى الاسم الرحمن فتثاب أو إلى الاسم المنتقم فتعاقب.

فالعقل الظاهر في العوالم النازلة يُثاب ويُعاقب باعتبار اتحاد الظاهر والمظهر ومعاد كل شيء بتوسطه بل بمعاده فإن الأشياء الكونية لا تعود إلى الحق ما لم تصل إلى العالم العقلي أو تفنى فيه وإن كان معاد الكل بتوسط الإنسان الكامل الذي كان العقل هو مرتبة عقله.

وقوله عليه السلام: ولا أكملتك إلاّ فيمن أُحبّ إشارة إلى أن ظهور العقل في مراتب الموجودات على قدر استعدادهم الذي قدر لهم في الحضرة العلمية بالحُبّ الذاتي ولولا ذلك الحُبّ لا يظهر موجود من الموجودات ولا يصل أحد إلى كمال من الكمالات فإنّ بالعشق قامت السماوات.

وفي قوله عليه السلام: إيّاك آمر وإيّاك أنهى وإيّاك أُثيب وإيّاك أُعاقب بلا

تخلّل الباء إشارة واضحة عند أرباب الذوق بما قلنا من أن العقل هو الظاهر وهو الباطن وهو النافذ في الملك والملكوت والنازل من مقامه الأرفع إلى المنزل الأدنى بلا تجاف عن محلّه الأعلى ومقامه الأرفع الأسنى والله الموفق في الآخرة والأولى.

مطلع: قد حان حين أن تعلم معنى خلافة العقل الكلي في العالم الخلقي فإن خلافته خلافة في الظهور في الحقائق الكونيّة ونبوّته إظهار كمالات مبدئه المتعال وإبراز الأسماء والصفات من حضرة الجمع ذي الجلال وولايته التصرف التام في جميع مراتب الغيب والشهود تصرّف النفس الإنسانية في أجزاء بدنها بل تصرّفه لا يقاس بتصرفها فإنّه لعدم شوبه بالقوّة واعتناقه بالعدم والنقصان يكون أقوى في الوجود والإيجاد والتصرف والإمداد فهو الظاهر والحق به الظاهر وهو الباطن والحق به الباطن.

ولا تتوهمن من هذا التعبير أنّ ظهور الحق وبطونه تبع ظهوره وبطونه فإن ذلك توهّمٌ فاسد وظنّ في سوق اليقين والمعرفة كاسد بل الأصيل في الظهور والإظهار هو الحق بل لا ظهور ولا وجود إلاّ له تبارك وتعالى والعالم خيال في خيال عند الأحرار.

مطلع : ومما يرشدك إلى ما ذكرنا حقّ الإرشاد ويهديك كمال الهداية إلى الطريق السداد ما حدّثه صدوق الطائفة ﷺ في عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناده عن مولانا وسيدنا علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ :

ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني قال علي عليه السلام فقلت يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل عليه السلام ؟ فقال يا علي إن الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين والفضل بعد لك يا علي وللأئمة من بعدك وإنّ الملائكة لخُدامنا وخُدّام محبينا يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسّبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا يا عليّ لولا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام ولا حوّا ولا الجنة والنار ولا السماء والأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون وأنه منزه عن صفاتنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا فلما شاهدوا عظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وإنّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا : لا إله إلا الله

فلما شاهدوا كبر محلنا كبّرنا لتعلم الملائكة أن الله تعالى أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العز والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا إلا به ولا قوة إلا بالله فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يستحق الله وما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة: الحمد لله فينا فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله عز وجل وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده.

ثمّ إن الله تبارك وتعالى خلق آدم عليه السلام فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعين وأنه لما عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل عليه السلام مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى ثم قال لي:

تقدم يا محمد فقلت له يا جبرئيل أتقدم عليك؟ فقال نعم إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه على ملائكته أجمعين وفضّلك خاصة قال: فتقدمت فصليت بهم ولا فخر فلما انتهيت به إلى حجب النور قال لي جبرئيل تقدم يا محمد وتخلّف عني فقلت يا جبرئيل أفي مثل هذا الموضع تفارقني؟؟ فقال: يا محمد إن انتهاء حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدي حدود ربي جل جلاله له فزخ بي في النور زخة (فزج بي في النور زجة) حتى انتهيت إلى ما شاء الله من علوّ ملكه فنوديت يا محمد! فقلت لبيك وسعديك تباركت وتعاليت فنوديت يا محمد! أنت عبدي وأنا ربك فإيّاي فاعبد وعليّ فتوكل فإنك

نوري في عبادي ورسولي على خلقي وحجتي على بريتي لك ولمن تبعك خلقت جنتي ولمن خالفك خلقت ناري ولأوصيائك أوجبت كرامتي ولشيعتهم أوجبت ثوابي فقلت: يا ربّ ومن أوصيائي؟ فقال: يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق العرش فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي أوّلهم علي بن أبي طالب وآخرهم مهدي أمتي فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي بعدي؟ فنوديت يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريّتي وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني ولأعلّين بهم كلمتي ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي ولأملّكنّه مشارق الأرض ومغاربها ولأسخّرن له الرياح ولأذّللن له السحاب الصعاب ولأرقينه في الأسباب ولأنصرنّه بجندي ولأمدّنّه بملائكتي حتى يعلن دعوتي بجمع الخلق على توحيدي ثم لأديمنّ ملكه ولأدوالنّ الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة. تم الحديث الشريف ولقد نقلته بطوله مع بناء هذه الرسالة على الاختصار للتبرك والتيمن وزيادة الفائدة والبصيرة وها أنا أشرح بعض فقراته الراجعة إلى المقام مع الإيجاز والاختصار وأرجو التوفيق من الحق المختار.

مطلع : اعلم جعلك الله وإيّانا من أمّة الرسول المختار وسلكنا سبيل الشيعة الأبرار أنّ قوله ﷺ ما خلق الله خلقاً أفضل مني إشارة إلى أفضليته ﷺ في مقام تعيّنه الخلقي فإنه في النشأة الخلقيّة أول التعيّنات وأقربها إلى الاسم الأعظم أمام أئمة الأسماء والصفات وإلاّ فهو بمقام ولايته الكلية العظمى وبرزخيته الكبرى والهيولوية الأولى المعبّر عنها بدنا وتدلى والوجود الانبساطي الإطلاقي والوجه الدائم الباقي المستهلك فيه كلّ الوجودات والتعيّنات والمضمحلّ لديه جميع الرسوم والسمات لا نسبة بينه وبين شيء لإحاطته القيّومية بكلّ ضوء وفيئ فلا يستصح الإكرامية والأفضلية ولا يتصور الأوّلية والآخرية بل هو الأول في عين الآخرية والآخر في عين الأولية ظاهر بالوجه الذي هو باطن وبالوجه الذي هو ظاهر كامن كما قال: نحن السابقون الأولون.

١ـ قوله عليه السلام : فأنت أفضل أم جبرئيل؟

اعلم أنّ هذا السؤال وغيره من المقال من مولانا أمير المؤمنين وإمام أصحاب الكشف واليقين عليه صلوات رب العالمين لمصلحة كشف الحقائق بالنسبة إلى سائر الخلق وإلاّ فهو عليه الصلاة والسلام يستفيد من رسول الله ﷺ حقائق العلوم وغيبيّات السرائر بمقامه العقلي وشأنه الغيبي قبل الوصول إلى النشأة المثالية الخيالية فضلاً عن نزولها إلى الهيئات

اللفظية والكلامية فإن منزلته منه بعد اتحاد نورهما بحسب الولاية الكلية المطلقة منزلة اللطيفة العقلية بل الروحيّة السّرية من النفس الناطقة الإلهية ومنزلة سائر الخلائق منه صلوات الله عليه منزلة سائر القوى الباطنية والظاهرية منها فإنّ لرسول الله ﷺ أحدية جمع الحقائق الغيبية والشهادتية وهو أصل أصول المراتب الكلية والجزئية ونسبته إلى رعيته نسبة الاسم الأعظم في الحضرة الجمعية إلى سائر الأسماء والصفات بل هو الاسم الأعظم في الحضرة الجمعية إلى سائر الأسماء والصفات بل هو الاسم الأعظم المحيط لسائر الأسماء الإلهية في النشأة الخلقية والأمرية فكما أن الفيض من حضرة الجمع لا يصل إلى التفاصيل المحضة إلا بعد عبوره في مراحل متوسطة ولا يمرّ على السوافل إلا بعد مروره على العوالي التي هي الواسطة كما قد أوضحنا سبيله في المشكاة السالفة وبيّنا دليله في المصابيح السابقة كذلك الفيوضات العلمية والمعارف الحقيقية النازلة من سماء سرّ الأحمدية لا تصل إلى الأراضي الخلقية إلا بعد عبورها على مرتبة العماء العلوية ولذلك ولأسرار أخرى قال ﷺ:

«أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها».

وممّا يؤيد ما ذكرنا لك ويشهد على ما تلونا عليك ما ورد أنّه يسمع كلام جبرئيل.

ومن ذلك ما ورد في الكافي الشريف في باب العهود في رواية طويلة أنه قال أمير المؤمنين: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل يقول للنبي ﷺ يا محمّد عرّفه إنه منتهك الحرمة، الخبر الشريف.

٢ـ ثم إن السؤال عن أفضليته عن جبرئيل سؤال عن قاطبة سكنة عالم الجبروت واختصاصه بالذكر إمّا لعظمة شأنه من بين سائر الملائكة أو لتوجّه الأذهان إليه دون غيره وبالجملة ليس السؤال مختصاً به ولهذا أجاب ﷺ بفضله على جميع الملائكة.

٣ـ وليعلم أنّ هذه الفضيلة ليست فضيلة تشريفيّة اعتباريّة كفضيلة السلطان على الرعية بل فضيلة حقيقية وجودية كماليّة ناشئة من إحاطته التامة وسلطنته القيومية ظلّ الإحاطة التي لحضرة اسم الله الأعظم المحيط على سائر الأسماء فإن سائر الأسماء والصفات من شؤونه وأطواره ومظاهره وأنواره فكما أن شرافة اسم الله الأعظم المحيط على سائر الأسماء ليست تشريفية اعتبارية فكذا سائر الأسماء وبعضها بالنسبة إلى بعض كذلك الأمر في مربوب الأسماء المحيطة الذي هو النبي في كل عصر وخصوصاً نبيّنا ﷺ الذي هو مربوب إمام أئمة الأسماء والصفات فله الرئاسة التامّة على جميع الأمم السابقة واللاحقة بل كل النبوات من شؤون نبوّته ونبوّتُهُ دائرة عظيمة محيطة على جميع الدوائر الكلية والجزئية والعظيمة والصغيرة.

٤ـ قوله ﷺ: والفضل بعدي لك وللأئمة من بعدك إشارة إلى ما ذكرنا من أنّ مرتبة وجوده ووجود سائر الأئمة بالنسبة إلى النبيّ ﷺ مرتبة الروح من النفس الناطقة الإنسانية ورتبة سائر الأنبياء والأولياء رتبة سائر القوى النازلة منه ورتبة سائر الرعية رتبة القوى الجزئية النازلة الظاهرة أو الباطنة حسب درجاتهم ومراتبهم وكلّ فضيلة وكمال وشرف في المملكة الإنسانية ثابتة للمرتبة الروحية ومنها يصل إلى سائر القوى والمراتب بل جميع القوى

الظاهرة والباطنة ظهور حقيقة الروح ولذلك قال علي عليه السلام: «كنتُ مع الأنبياء سراً ومع رسول الله جهراً» على ما حكي والمعيّة بالنسبة إلى سائر الأنبياء عليهم السلام معيّة قيّوميّة وبالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله معيّة تقوّمية.

٥ـ قوله ﷺ: وإنّ الملائكة لخُدّامنا وخدّام محبينا، شاهد على ما ذكرنا من أنّ العالم بجميع أجزائه وجزئياته من القوى العلاّمة والعمّالة للولي الكامل فبعض الملائكة من قواه العلاّمة كجبرئيل ومن في طبقته وبعضهم من العمّالة كعزرائيل ومن في درجته وكالملائكة السماوية والأرضية المدبّرة وخدمة الملائكة لمحبيهم أيضاً بتصرّفهم عليهم السلام كخدمة بعض الأجزاء الإنسانية لبعض بتصرّف النفس.

٦ـ قوله ﷺ: والذين يحملون العرش.

للعرش إطلاقات والمراد ها هنا جملة الخلق أو الجسم المحيط وجملته أربعة من الأملاك وهي أرباب أنواع أربعة كما نقل عن اعتقادات الصدوق عليه الرحمة لا الحضرة العلمية فإن حامل العلم نفسه ﷺ وشؤونه كما ورد في الكافي الشريف عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

حملة العرش والعرش العلم ثمانية أربعة منا وأربعة ممن شاء الله.

وفي رواية أخرى عن الكاظم عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة كان حملة العرش ثمانية:

أربعة من الأولين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

وأربعة من الآخرين: محمّد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام.

٧ـ قوله ﷺ: لولا نحن ما خلق الله آدم إلى آخر لأنهم وسائط بين الحق والخلق وروابط بين حضرة الوحدة المحضة والكثرة التفصيلية وفي هذه الفقرة بيان وساطتهم بحسب أصل الوجود وكونهم مظهر الرحمة الرحمانية التي هي مفيض أصل الوجود بل بحسب مقام الولاية هم الرحمة الرحمانية بل هم الاسم الأعظم الذي كان الرحمن الرحيم تابعين له.

كما أنّ الفقرة الآتية أي قوله ﷺ كيف لا نكون أفضل من الملائكة بيان كونهم وسائط بحسب كمال الوجود وكونهم مظهر الرحمة الرحيمية التي بها يظهر كمال الوجود فبهم يتمّ دائرة الوجود ويظهر الغيب والشهود ويجري بالفيض في النزول والصعود.

قال الشيخ محيي الدين في فتوحاته: ظهر الوجود ببسم الله الرحمن الرحيم.

فتمام دائرة الوجود تحت هذه الأسماء الثلاثة جمعاً في الأول منها وتفصيلاً في الآخرين.

ثم إنّ مقصودنا من نقل الرواية الشريفة بطولها هذه الفقرات التي بصدد بيان تعليمهم حقيقة العبودية والطريق إليها للملائكة في النشأة العقلية الغيبية وبيان أنّ هذا التعليم هو حقيقة النبوة في النشأة العينية فنحن نشير إلى فقراتها على الإجمال في ضمن أصول لتوضيح الحال مع ضيق المجال وتشويش البال.

أصل : في بيان سبقهم إلى معرفة ربهم :

إنك قد عرفت فيما عرفت فيما تلونا عليك أنّ للعالم العقلي وجودات نورية حيّة علمية بلا تخلّل جعل بينها وبين كمالاتها بل كلّ ما يمكن لها بالإمكان العام واجب التحقق لها فالسبق إلى معرفة الربّ وتسبيحه وتهليله لسبق الوجود وهذا السبق هو السبق الدهري المناسب لهذا المقام الرفيع العالي المنزّه عن الزمان والمكان وبالجملة هو السبق بالعلية والحقيقة الذي هو ثابت في مراتب الوجود وحقائق الغيب والشهود.

وقوله فأنطقها أي جعلها ذا نطق بعين جعل ذاتها، نطقاً عقلياً من غير صوت ولا لفظ وتخلّل الفاء فيه لسبق الذات على كمالاتها سبقاً بالتجوهر.

خلق الملائكة بحسب الوجود كما أنهم وسائط بحسب كمالات الوجود.

أصل: اعلم هداك الله إلى صراط المستقيم أنّ للتوحيد أربعة أركان ولكل منها ثلث درجات درجة منها ظاهرة ودرجتان منها في البطون والاسم تابع لما هي الظاهرة كما أنّ الأمر كذلك في الأسماء الإلهية المنقسمة إلى الأقسام الثلاثة أي الأسماء الذاتية والأسماء الصفاتية وأسماء الأفعالية.

الركن الأول: هو التحميد وهو مقام توحيد الأفعال وهو الدرجة الظاهرة منه وباطن فيه التوحيدان الآخران أي الصفتي والذاتي فإن التحميد مقام إرجاع جميع المحامد والاثنية إلى الله تعالى ونفي الاستحقاق عن غيره جلّ وعلا ولا يتحقق ذلك إلاّ بأن تكون جميع الأفعال الحسنة والأعمال الصالحة وقاطبة العطيّات وجُلّ المنحات منه بأن يرى العبد المشاهد لهذا المقام أن العطيات والمنحات التي في صورة الكثرة التفصيلية ظهور العطية المطلقة التي هي المشيئة المطلقة التي هي وجه الله الفاني في ذي الوجه فليس في الوجود جميل ولا فاعل جميل حتى يحمد على جماله أو فعله سوى الجميل المطلق ويؤكده الحوقلة التي هي مقام نفي الحول والقوة عن غيره وإثبات كونهما بالله الجميل ولو كان في صورة التفصيل وباطن هذا التوحيد توحيد الصفات والذات عند أصحاب الرموز والإشارات.

الركن الثاني: هو التهليل وهو مقام توحيد الصفات واضمحلال كل الكمالات بأن يرى العبد كل جمال وكمال وحسن وبهاء ظهور جمال الحق

وكماله وتجلٍّ من تجليات جلاله وكون التهليل لذلك المقام لما فيه من نفي الألوهية عن الغير والألوهية ها هنا هي الألوهية الصفتية لا الفعلية والتوحيدان الآخران فيه محجوب عند أرباب الأذواق والقلوب.

الركن الثالث: هو التكبير وهو مقام توحيد الذات واستدراك جميع الإنيّات لما ورد في معناه أنه أكبر من أن يوصف لا من كل شيء معلّلاً بأنه لاشيء هناك والتوحيدان الآخران فيه على حدّ الاستتار عند أُولي السابقة الحسنى من الأحرار.

الركن الرابع: هو التسبيح وهو مقام التنزيه عن التوحيدات الثلاثة فإن فيها تكثير وتلوين وهو مقام التنزيه والتمكين وبه يتمّ التوحيد الفعلي يرى السالك كلّ فعل ظهور فعله وتنزيهه بأن لا يرى فعل الغير أبداً.

والتوحيد الصفتي استهلاك الصفات والأسماء في أسمائه وصفاته والتنزيه في ذلك المقام عدم رؤية صفة واسم في دار التحقق إلا صفاته وأسمائه.

والتوحيد الذاتي اضمحلال الذوات لدى ذاته والتنزيه في ذلك المقام عدم رؤية إنيّة وهوية إلاّ الهوية الأحدية.

وفي الآثار والأخبار: يا من هو يا من ليس إلا هو والتوغل الذي هو بمنزلة النتيجة لكل المقامات والتوحيدات عدم رؤية فعل وصفة حتى من الله تعالى ونفي الكثرة بالكلية وشهود الوحدة الصرفة والهوية المحضة التي هي الظاهرة في عين البطون والباطنة في عين الظهور والتنزيه في كل مقام ينطوي في المقامين الآخرين.

أصل: اعلم أنّ في جعل التسبيح في الرواية الشريفة مقدَّماً على سائر الأركان دلالة على شرفه وعلوّ قدره على سائر المراتب مع أنّه مناسب لمقام الملائكة ونشأتهم وأما جعل التكبير متوسّطاً بين التهليل والتمجيد فلأن المركز في الحقائق المجرّدة محيط على المحيط بعكس الدوائر الحسية كما سبقت الإشارة إليه ودلالة على أنّ ذاته تعالى شأنه محفوف بالصفات والأسماء وأنّ رؤية الذات لا يمكن إلاّ من وراء حجاب الأسماء والصفات والآثار وتأكيد التحميد بالحوقلة للدلالة على كون الكثرة في الفعل أوغل بحسب رؤية السالكين.

أصل: اعلم أنّ حظّ الملائكة من التوحيدات الثلاثة والتنزيه ليس كحظّ الإنسان الكامل في جميع المقامات بل لكلّ منها مقام معلوم لا يتجاوزه.

فالتعليم في تلك النشأة بحسب استعداداتهم التي يحيط بها النبي المكّرم ﷺ الذي أحاط بكلّ الأشياء وترتيب تكميل كل العوالم والنشآت على طبق القضاء.

ولما كان بقية الحديث الشريف خارجاً عن مقصدنا جزنا عن شرحه مع كونه لائقاً للشرح الطويل والبحث والتفصيل عسى الله أن يوفقنا لإفراد رسالةٍ في شرحه.

خاتمة: هذه التعاليم التي وقعت في النشأة العقلية من النبيّ المكرم وآله الطيبين الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين هي حقيقة النبوة والإمامة في العالم الأمري العيني فقد عرفت في ما سبق بسطها وتفصيلها ولنختم الكلام في المقام ولنصرف عنان القلم إلى طور آخر من الكلام وهو الخلافة والنبوة والولاية في النشأة الظاهرة الخلقية وأسأل الله التوفيق فإنه خير رفيق والصلاة والسلام على الرسول الأمين وآله الطيبين الطاهرين.

المصباح الثالث: فيما نختم به الكلام من أسرار الخلافة والنبوّة والولاية في النشأة الظاهرة الخلقية وسرّ بعث الأنبياء عليهم السلام ومنزلتهم مع نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم وفيه وميضات نورية تشير إلى أسرار ربوبية.

وميض: لعلك قد أخذت الخبر بيديك وانكشف الأمر بإيضاحنا لديك من أنّ للأسماء الإلهية محيطية ومحاطية ورياسة ومرؤوسية فُربَّ اسم إلهي يكون محيطاً بالأسماء الجمالية كالرحمن ورُبَّ اسم إلهي محيط بالأسماء الجلالية كالمالك والقهّار ولا يكون في الأسماء الإلهية المرتبة الجامعية المطلقة وأحدية جمع الحقائق الإلهية اللطفية والقهرية بطريق الجمع والبساطة إلاّ لاسم الله رب جميع الحقائق الإلهية ومفتاح مفاتيح الكنوز الغيبية فهو الاسم المحيط التام الأعظم الأزلي الأبدي السرمدي وغيره من الأسماء حتىّ الأمهات منها لا يكون بهذه الإحاطة وإن كان لبعضها إحاطة على بعضها أقلّ وأكثر.

وميض: كما أنك قد عرفت من تضاعيف ما تلونا عليك أنّ ظهور الأعيان الخارجية إنمّا يكون حسب اقتضاء الأسماء الإلهية على نظام ما في العلم الربوبي وحضرة الأعيان الثابتة فلكل حقيقة من حقائق الأسماء الإلهية رقيقة تكون مظهرها في العالم الغيبي وحكم الظاهر والمظهر سواء في السنّة الإلهية فما هو مظهر الرحمن تكون الرحمن فيه غالبة وتكون محيطاً على سائر المظاهر اللطفية والجمالية وحاكماً عليها وما كان مظهر المالك والواحد كذلك بالنسبة إلى المظاهر القهرية فوجب لا محالة بحكم القضاء السابق الإلهي والعناية الرحمانية وجود خليفة جامعة لجميع الصفات الربوبية وحقائق الأسماء الإلهية ليكون مظهراً لاسم الله الأعظم.

وبالجملة لمّا كان كلّ ما في الكون آية لما في الغيب لا بدّ وأن يكون لحقيقة العين الثابتة الإنسانية أي العين الثابتة المحمّدية وحضرة الاسم الأعظم مظهر في العين ليظهر الأحكام الربوبية ويحكم على الأعيان الخارجية حكومة الاسم الأعظم على سائر الأسماء والعين الثابت للإنسان الكامل على بقية الأعيان فمن كان بهذه الصفة أي الصفة الإلهية الذاتية يكون خليفة في هذا العالم كما أنّ الأصل كان كذلك.

وميض: وكما أن اسم الله الأعظم بمقامه الجمعي كان جامعاً لجميع مراتب الأسماء الإلهية بنحو أحدية الجمع والبساطة الحقيقية وكان عالماً بحقائقها بعلمه بذاته وعالماً بكيفية ظهور صورها في الحضرة العلمية والكون العيني وكيفية استهلاكها واضمحلالها في مقام الغيب الأحدي الذي هو حقيقة القيمة الكبرى للأسماء الإلهية إذ كما أنّ القيمة الكبرى للأكوان الخارجية بانطماس نورها وهويّتها تحت سطوع النور الربوبي وبرجوع كلّ مظهر إلى ظاهره وفنائه فيه تكون الأعيان الثابتة والأسماء الإلهية بانقهارها تحت شمس الأحدية الذاتيّة وانمحاق أنوارها لدى نورها بتوسط الإنسان الكامل في الأعيان الخارجية والعين الثابتة المحمديةﷺ في الأعيان الثابتة والاسم الأعظم الإلهي في الأسماء الإلهية كما ستسمع إن شاء الله فيما سيأتي من بيان قوسي النزول والصعود بشرط مساعدة التوفيق كذلك الاسم الأعظم الإلهي الموجود في النشأة الظاهرة جامع لجميع مراتب الأسماء وحقائق الأعيان ويرى الأشياء على ما هي عليها برؤية ذاته ويرى كيفية ارتباطها بالأسماء الإلهية ووصولها إلى باب أربابها الذي هو حقيقة القيمة الكبرى الأشياء الكونية الخارجية وهو في الحقيقة يوم ليلة القدر المحمّديةﷺ كما سيأتي تحقيقها إن شاء الله.

وميض: وكما أن الأسماء المحيطة حاكمة على الأسماء التي تحت حيطتها وقاهرة عليها وكلّ اسم كانت جامعيته وحيطته أكثر كان حكمه أشمل ومحكومه أكثر إلى أن ينتهي الأمر إلى اسم الله الأعظم الذي يكون محيطاً على الأسماء كلها أزلاً وأبداً ولم يكن حكمه مخصوصاً باسم أو أسماء، كذلك الأمر في المظاهر طابق النعل بالنعل فإن العالم نقشة ما في الأسماء الإلهية والعلم الربوبي فسعة دائرة الخلافة والنبوّة وضيقها في عالم الملك حسب إحاطة الأسماء الحاكمة على صاحبها وشارعها وهذا سرّ اختلاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الخلافة والنبوة إلى أن ينتهي الأمر إلى مظهر الاسم الجامع الأعظم الإلهي فتكون خلافته باقية دائمة محيطة أزليّة أبدية حاكمة على سائر النبوات والخلافات كما أن الأمر في المظاهر كذلك، فدورة نبوات الأنبياء عليهم السلام دورة نبوته وخلافته وهم مظاهر ذاته الشريفة وخلافاتهم مظاهر خلافته المحيطة وهو ﷺ خليفة الله الأعظم وسائر الأنبياء خليفة غيره من الأسماء المحاطة بل الأنبياء عليهم السلام كلهم خليفته ودعوتهم في الحقيقة دعوة إليه وإلى نبوّته وآدم ومن دونه تحت لوائه فمن أول ظهور الملك إلى انقضائه وانقهاره تحت سطوع نور الواحد القهار دورة خلافته الظاهرة في الملك.

وميض: وبما علّمناك من البيان وأتيناك من التبيان يمكن لك فهم قول مولى الموحّدين وقدوة العارفين أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين كنتُ مع الأنبياء باطناً ومع رسول الله ظاهراً فإنه عليه السلام صاحب الولاية المطلقة الكلّية والولاية باطن الخلافة والولاية المطلقة الكلّية باطن الخلافة الكذائية فهو عليه السلام بمقام ولايته الكلية قائم على كلّ نفس بما كسبت ومع كلّ الأشياء معيّة قيّوميّة ظلّية إلهية ظلّ المعيّة القيّومية الحقة الإلهية إلاّ أنّ الولاية لما كانت في الأنبياء أكثر خصّهم بالذكر.

وميض: وبالحريّ أن نذكر ما لخصه الشيخ العارف الكامل القاضي سعيد القمي‌ؒ مما فصّله بعض أهل المعرفة: قال في البوارق الملكوتية قال إنّ الحقائق الخارجية في حال غيبتها تحت أستار الأسماء التي وسائط شهودها فسألت تلك الأسماء سؤال افتقار قالت: إنّ العدم قد أعمانا عن إدراك بعضنا بعضاً وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو أنكم أظهرتم أعياننا لكنتم أنعمتم علينا ولكان لنا أن نقوم بحقوقكم ولكانت سلطنتكم متحققة واليوم أنتم سلاطين علينا بالقوّة من دون جنود ولا عدّة فهذا الذي نطلبه منكم أكثر نفعاً لكم مما في حقنا فلما سمعت الأسماء الإلهية مقالة الحقائق الغيبية نظرت في ذوات أنفسها وصدقت الممكنات وطلبت ظهور أحكامها حتى تتميّز أعيانها بآثارها فإن الخلاّق والمدبر وغيرهما نظروا في ذواتهم فلم يروا خلاقاً ولا مدبراً ولا غير ذلك فجاءت تلك الأسماء إلى حضرة الاسم الباري فقالوا له عسى أن توجد أنت هذه الأحكام التي اقتضت حقائقنا فقال الباري ذلك راجع إلى الاسم القادر فإني تحت حيطته فالتجئوا إليه فقال القادر أنا تحت حكم المريد فلا أوجد عيناً منكم إلا باختصاص وليس ذلك إلا بتخصصه وأن يأتيه أمر من ربه فحينئذٍ أتعلق أنا بالإيجاد ففزعوا إلى المريد وذكروا له مقالة القادر فقال المريد صدق القادر ولكني أنظر إلى أنه هل سبق العلم من الاسم العليم بظهور آثاركم فأخصص أنا ما شاء الله من أحكامكم فإني تحت حكمه فصاروا إلى الاسم العليم فقال العليم

قد سبق العلم بإيجادكم ولكن الأدب أولى وليس الأمر هنا بمحض الافتقار بل لا بدّ من الإذن مرة بعد أخرى وإن لنا كلّنا حضرة مهيمنة علينا وهي اسم الله فاجتمعت الأسماء إلى الحضرة الإلهية فذكروا له قصتهم وأظهروا له ما اقتضت حقاً يقهم فقال حقاً أقول أنا اسم جامع لحقائقكم مشتمل على مراتبكم وإني دليل على الذات المقدسة والحضرة الأحدية فمكانكم أنتم ورفقاؤكم حتى أعرض عليه مقاصدكم فقال يا من هو يا من لا هو إلا هو قد اختصم الملأ الأعلى وقالت الأعيان هكذا فنودي من سرّه أن اخرج عليهم وقل لكل واحد من الأسماء ما يتعلق بما يقتضيه حقائقها فخرج اسم الله ومعه الاسم المتكلّم يترجم عنه الممكنات والأسماء الإلهية وذكر لهم ما أمره المسمّى فتعلّق العالم بظهور الممكن الأول والقادر بظهور الممكن الثاني والمريد بسائر الأعيان فظهرت الأدوار والأكوار وأدّى الأمر إلى المنازعة والمخالفة كما هو مقتضى الأسماء الجمالية والجلالية فقال الأعيان إنا نخاف أن يفسد نظامنا أو يطغى بعضنا على بعضنا ونلحق بالعدم الذي كنّا فيه فالتجؤوا تارة أخرى إلى الأسماء بتعليم الاسم العليم والدبر وقالوا أيها الأسماء التي لكم السلطنة علينا إن كان أمركم على ميزان معلوم وحدّ مرسوم بأن يكون فيكم إمام يخفضنا ويخفض تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكن فسمعوا ذلك والتجؤوا إلى الاسم المدبر فدخل المدبر إلى المسمّى وخرج بأمر الحق إلى الاسم الرب فقال له صدر الأمر بأن تفعل أنت ما تقتضيه المصلحة في بقاء الممكنات فقال سمعاً وطاعة وأخذ وزيرين يعينانه على مصالحه وهما المدبر والمفصّل قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ أي ربكم الذي هو الإمام فانظر ما أحكم كلام الله وأتقن صنع الله انتهى.

وميض: ولعلك بتوفيق الله وحسن تأييده بعد الإحاطة بما في هذه الرسالة التي لا أظنّك إن سمعت به في غير تلك المقالة يمكنك فهم ما أرمزه ذلك العارف وتأويل ما أجمل ذلك المكاشف وإيّاك ثم إيّاك والله حفيظك في أولاك وأخراك أن تحمل أمثاله على ظاهرها من غير الغور الكامل إلى غامرها ولا تأخذ بيدك الطعن عليهم من غير فهم مقصدهم كما هو دأب بضع المنتسبين إلى العلم فإنهم جعلوا ميزان عدم صحة المطالب عدم اطلاعهم عليها أو عدم فهمهم إيّاها فتراهم يتهمون هؤلاء العظماء بك تهمة ويغتابون هؤلاء المكاشفين كلّ الغيبة مع أنّها أشدّ من الزنية تعصباً منهم تعصب الجاهلية أعاذنا الله من شرّ الشيطان الذي هو قاطع عن طريق الرحمن.

وميض: واعلم أنّ ما تلونا عليك ورفعنا الحجاب عن سرّه لديك بالنظر إلى إرجاع المسببات إلى أسبابها وانعطاف أمر المربوبات إلى أربابها وهو كما قال الشيخ العارف خواجه عبد الله الأنصاري همه از آخر كار ميترسند ومن از اول[1] وأشار إليه المولوي في المثنوي:

(ديده ميخواهم سبب سوراخ كن)[2].

وبالجملة هذا على مذاق العارف المكاشف الذي يتذكّر العهد الأزل والقضاء الأول وإلاّ فبالنظر إلى ترتيب ظهور الحقائق الإلهية في الهياكل المقدّسة الطيبة من الأنبياء والأولياء فطور آخر من الكلام لكشف النقاب عن وجه المرام فاستمع لما يتلى عليك من الأسرار إن كنت من الأحرار.

---

(١) الناس كلهم يخافون من عاقبة الأمر وأما أنا فأخاف من أوّله.

(٢) لا بد من بصر حاد ينفذ في السبب ويصل إلى المسبب.

وميض: قال العارف الكامل شيخ مشايخنا آقا محمد رضا القمشة أيﷺ في رسالته المعمولة لتحقيق الأسفار الأربعة ما ملّخصه.

اعلم أن السفر هو الحركة من الموطن متوجّهاً إلى المقصد بطي المنازل وهو صوريّ مستغن عن البيان ومعنوي وهو أربعة.

الأول السفر من الخلق إلى الحق برفع الحجب الظلمانية والنورانية التي بينه وبين حقيقته التي معه أزلاً وأبداً وأصولها ثلاثة وهي الحجب الظلمانية والنورانية العقلية والروحية أي بالترقي من المقامات الثلاثة برفع الحجب الثلاثة فإذا رفع الحجب يشاهد السالك جمال الحق وفني عن ذاته وهو مقام الفناء وفيه السرّ والخفيّ والأخفى فينتهي سفره الأول ويصير وجوده وجوداً حقانياً ويعرض له المحو ويصدر عنه الشطح فيحكم بكفره فإن تداركته العناية الإلهية يشمله ويزول المحو فيقر بالعبودية بعد الظهور بالربوبية.

ثم عند انتهاء السفر الأول يأخذ في السفر الثاني وهو السفر من الحق إلى الحق بالحق وإنما يكون بالحق لأنه صار ولياً وجوده وجوداً حقّانياً فيأخذ بالسلوك من الذات إلى الكمالات حتى يعلم الأسماء كلّها إلاّ ما استأثره عنده فتصير ولايته تامة وتفنى ذاته وصفاته وأفعاله في ذات الحق وصفاته وأفعاله وفيه يحصل الفناء عن الفنائية أيضاً الذي هو مقام الأخفى وتتم دائرة الولاية وينتهي السفر الثاني ويأخذ في السفر الثالث.

وهو من الحق إلى الخلق ويسلك في هذا الموقف في مراتب الأفعال ويحصل له الصحو التام ويبقى بإبقاء الله ويسافر في عوالم الجبروت والملكوت والناسوت ويحصل له حظّ من النبوة وليس له نبوة التشريع وحينئذ ينتهي السفر الثالث ويأخذ في السفر الرابع.

وهو من الخلق إلى الخلق بالحق فيشاهد الخلائق وآثارها ولوازمها فيعلم مضارّها ومنافعها ويعلم كيفية رجوعها إلى الله وما يسوقها فيخبر بها وبما يمنعها فيكون نبياً بنبوّة التشريع انتهى ملخصه.

وميض: وعندي أنّ السفر الأول من الخلق إلى الحق المقيّد برفع الحجب التي هي جنبة يلي الخلقي ورؤية جمال الحق بظهوره الفعلي الذي هو في الحقيقة ظهور الذات في مراتب الأكوان وهو جنبة يلي الخلقي وبعبارة أخرى بانكشاف وجه الحق لديه وأخيرة هذا السفر رؤية جميع الخلق ظهورها الحق وآياته فينتهي السفر الأول ويأخذ في السفر الثاني وهو من الحق المقيد إلى الحق المطلق فتضمحل الهويات الوجودية عنده ويستهلك التعينات الخلقية بالكلية لديه ويقوم قيامته الكبرى بظهور الوحدة التامة ويتجلى الحق له بمقام وحدانيته وعند ذلك لا يرى الأشياء أصلاً ويفنى عن ذاته وصفاته وأفعاله وفي هذين السفرين لو بقي من الأنانية شيء يظهر له شيطانه الذي بين جنبيه بالربوبية ويصدر منه الشطح والشطحيّات كلّها من نقصان السالك والسلوك وبقاء الإنية والأنانية ولذلك بعقيدة أهل السلوك لا بد للسالك من معلم يرشده إلى طريق السلوك عارفاً كيفياته غير معوج عن طريق الرياضات الشرعية فإن طرق سلوك الباطني غير محصور وبعدد أنفاس الخلائق.

ثم إن شملته العناية الإلهية في مقام تقدير الاستعدادات كما قال الشيخ العربي «والقابل لا يكون إلا في فيضه الأقدس» أرجعته إلى نفسه فيأخذ في السفر الثالث وهو في الحق إلى الخلق الحقي بالحق أي من حضرة الأحدية

الجمعية إلى حضرة الأعيان الثابتة وعند ذلك تنكشف له حقائق الأشياء وكمالاتها وكيفية تدرّجها إلى المقام الأول ووصولها إلى وطنها الأصلي ولم يكن في هذا السفر نبياً مشرعاً فإنه لم يرجع إلى الخلق في النشأة العينية ثم يأخذ في السلوك في السفر الرابع وهو من الخلق الذي هو الحق أي من حضرة الأعيان الثابتة إلى الخلق أي الأعيان الخارجية بالحق أي بوجوده الحقاني مشاهداً جمال الحق في الكل عارفاً بمقاماتها التي لها في النشأة العلميّة عالماً طريقة سلوكها إلى حضرة الأعيان فما فوقها وكيفية وصولها إلى موطنها الأصلي وفي هذا السفر يشرع ويجعل الأحكام الظاهرة القالبيّة والباطنية القلبية ويخبر وينبئ عن الله وصفاته وأسمائه والمعارف الحقة على قدر استعداد المستعدين.

وميض: وليعلم أنّ هذه الأسفار الأربعة لا بد وأن تكون لكل مشرع ومرسل ولكن المراتب مع ذلك متفاوتة والمقامات متخالفة فإن بعض الأنبياء المرسلين من مظاهر اسم الرحمن مثلاً ففي السفر الأول يشاهد اسم الرحمن مثلاً ففي السفر الأول يشاهد الاسم الرحمن ظاهراً في العالم وينتهي سفره الثاني باستهلاك الأشياء في الاسم الرحمن ويرجع بالرحمة والوجود الرحماني إلى العالم فتكون دورة نبوّته محدودة وكذلك مظاهر سائر الأسماء حسب الاختلافات التي هي من حضرة العلم حتى ينتهي الأمر إلى مظهر اسم الله فيشاهد في أخيرة سفره الأول الحق بجميع شؤونه ظاهراً ولا يشغله شأن عن شأن وأخيرة سفره الثاني باستهلاك كل الحقائق في الاسم الجامع الإلهي بل استهلاكه أيضاً في الأحدية المحضة فهو يرجع إلى خلق بوجود جامع إليه وله النبوّة الأزليّة الأبدية والخلافة الظاهرية الباطنية.

وميض: اعلم أن هذه الأسفار قد تحصل للأولياء الكُمّل أيضاً حتى السفر الرابع فإنّه حصل لمولانا أمير المؤمنين وأولاده المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) إلا أن النبيﷺ لما كان صاحب المقام الجمعي لم يبق مجال للتشريع لأحد من المخلوقين بعده فلرسول اللهﷺ هذا المقام بالأصالة ولخلفائه المعصومينعليهم السلام بالمتابعة والتبعيّة بل روحانية الكلّ واحدة.

قال شيخنا وأستاذنا في المعارف الإلهية العارف الكامل شاه آبادي أدام الله ظله على رؤوس مريديه: لو كان عليعليه السلام ظهر قبل رسول اللهﷺ لأظهر الشريعة كما أظهر النبيﷺ ولكان نبيّاً مرسلاً وذلك لاتحادهما في الروحانية والمقامات المعنوية والظاهرية.

خاتمة ووصية: إياك أيها الصديق الروحاني ثم إياك والله معينك في أولاك وأخراك أن تكشف هذه الأسرار لغير أهلها أو لا تضنن على غير محلها فإن علم باطن الشريعة من النواميس الإلهية والأسرار الربوبية مطلوب ستره عن أيدي الأجانب وأنظارهم لكونه بعيد الغور عن جلي أفكارهم ودقيقها وإياك وأن تنظر نظر الفهم في هذه الأوراق إلا بعد الفحص الكامل عن كلمات المتألهين من أهل الذوق وتعلّم المعارف عند أهلها من المشايخ العظام والعرفاء الكرام وإلا فمجرد الرجوع إلى مثل هذه المعارف لا يزيد إلا خسراناً ولا ينتج إلا حرماناً.

ولنختم الكلام بالحمد لله الملك العلاّم والصلاة والسلام على أنبيائه وأوليائه العظام خصوصاً سيدهم وأشرفهم محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد اتفق الفراغ عن هذه الرسالة بيد مؤلفه الفقير المستكين الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً في صبيحة يوم الأحد لخمسة وعشرين خلون من شهر شوّال المكرّم سنة تسع وأربعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبويّة على هاجرها وآله الصلاة والسلام والتحية الأزلية الأبدية والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

المُحتَويَاتْ



